حكمة يمانية
HEKMAH YEMANYA

بَيْتٌ كَادَتْ تَهْدِمُهُ الخُرَافَةُ

ثلاثون قصة عن خطورة الشرك
والخرافات والدجل والشعوذة

محمد مصطفى العمراني

بَيْتٌ كَادَتْ تَهْدِمُهُ الخُرَافَةُ

ثلاثون قصة عن خطورة الشرك
والخرافات والدجل والشعوذة

حقوق الطبع محفوظة

ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو ترجمته إلى لغة أخرى دون إذن خطي سابق من الناشر.

موقع حكمة يمانية

اليمن – تعز

INFO@HEKMAHYEMANYE.COM

WWW.HEKMAHYEMANYA.COM

@HEKMAHYEMANY

الطّبعة الأولى

1448هـ – 2026م

العنوان: بيتٌ كادت تهدمه الخرافة. ثلاثون قصة عن خطورة الشرك والخرافات والدجل والشعوذة

تأليف: محمد مصطفى العمراني.

الصفحات: (178 صفحة) .

الناشِر: حكمة يمانية.

قياس القطع: 17×24 .

رقم المعيار الدولي: 978-625-9497-08-2 .

بَيْتٌ كَادَتْ تَهْدِمُهُ الخُرَافَةُ

ثلاثون قصة عن خطورة

الشرك والخرافات والدجل والشعوذة

تأليف

محمد مصطفى العمراني

حكمة يمانية
HEKMAH YEMANYA

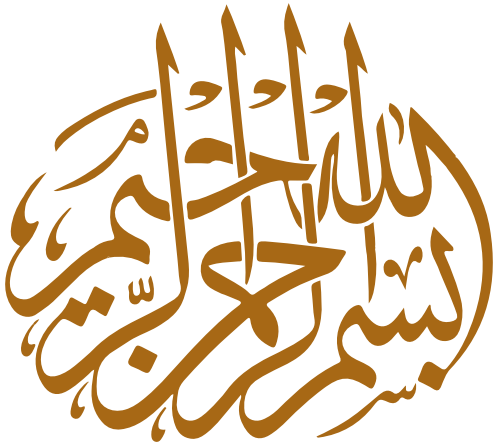
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

نهاية مشعوذ! 9
بيت تسكنه الخرافة! 15
الطلب الغريب! 20
هدم الخرافة 24
سقوط الخرافة 30
جريمة مشعوذ 35
الكذاب والنصاب! 41
عجائب في أكمة العقاب! 47
البقبقة للولي والفائدة للمدرسين! 54
سرقة باسم الولي! 61
الأرض وقرن الثور! 67
ورطة الولي! 72
سقوط ساحر! 77
تهمة غريبة! 82
المغفل والملحوسة 88
المعجزة المزيفة! 96
تميمة ومشقر وريحان 104

ولي الله سابقـًا! 109
مصير القطب الجديد! 116
كائن خرافي! 120
أكاذيب رائجة! 124
ولي مع إيقاف التنفيذ! 131
سقوط الولي! 136
بيت كادت تهدمه الخرافة 140
العالق في البرج! 144
البطل الذي اختفى! 150
استثمار الأموات! 155
أغرب مستشار! 160
الساعة المباركة 167
مأساة أميرة 172
الكاتب ومؤلفاته 177

هـذه القصـص تعـالج قضـايا الشـرك والخرافـات والـدجل والشـعوذة بأسـلوب أدبي، أرجـو أن يكـون شـائقًا ماتعًا، ذا لغـة سلسـة رشـيقة، وأسـلوب مثير ومـؤثر. فنتوجـه للجميـع بالمشـاركة في نشـرها لكل من يتواصلون معهم.

المؤلف

نهاية مشعوذ!

حين عملت بالتدريس في إحدى المدارس في ريف مدينة إب، استطعت بالتعاون مع بعض المدرسين تحويل المدرسة إلى شعلة من النشاط والعطاء الذي تجاوز المدرسة إلى المناطق المجاورة؛ محاضرات في المساجد، أسمار ومهرجانات، رحلات ومباريات، مسابقات وجوائز، لقاءات في المقايل، أنشطة دعوية وثقافية، لكن سرعان ما جاء قرار نقلي من تلك المدرسة إلى مدرسة نائية في أقصى الريف كعقوبة على نشاطي الذي تم تصنيفه لصالح تيار سياسي!

شعرت بحزن شديد، بحثت عن وساطة كبيرة توقف قرار إبعادي عن المدرسة لكن كل المحاولات باءت بالفشل. سلمت أمري لله، وذات صباح خريفي ودعت الزملاء والطلاب، وحزمت أغراضي ورحلت إلى تلك القرية النائية.

وصلتها ليلًا، سألت عن المدرسة فدلوني عليها، لم أصدق أن ما رأيته هو المدرسة، ثلاثة فصول متهالكة بلا أبواب ولا نوافذ ولا كراسي ولا سبورات، مجرد خرابة تبيت فيها بعض الكلاب الشاردة! .. هل هذه هي المدرسة التي سأدرس فيها؟!

سألت صاحب الدكان الذي يبيع كل شيء عن المدير فقال:

- الشيخ غير موجود، الشيخ في المدينة.

– أنا أبحث عن مدير المدرسة وليس عن الشيخ.

– الشيخ هو مدير المدرسة!

– أنا المدرس الجديد المرسل إلى المدرسة، دلني على بيت أي مدرس من أبناء المنطقة أو وكيل المدرسة أو نائب المدير.

هز رأسه مستغربًا فلم يسمع قبل اليوم بمدرس من أبناء المنطقة، أو شيء اسمه الوكيل أو نائب المدير! .. الشيخ هو كل شيء. طلبت منه أن يدلني على الجامع لأبيت فيه لكنه استضافني في منزله. في صباح اليوم التالي انتظرت أن يأتي الطلاب لكن لم يأت أحد!

سألته:

– أين الطلاب؟

– حتى الآن لا يوجد طلاب!

كان علي انتظار الشيخ حتى يعود ويأمر الناس بإرسال أولادهم للمدرسة، أقصد الخرابة التي يسمونها مدرسة.

بدأنا من الصفر، وتمكنت بدعم الشيخ والأهالي من إصلاح أوضاع المدرسة وبناء سكن لي بجوارها، جمعت ما يقارب 200 طالب وبدأت تدريسهم، وبدأت الأمور تمضي ببطء وتتحسن يومًا بعد يوم.

ما حزَّ في نفسي هو النشاط الواسع لأحمد جابر، وهو مشعوذ من أدعياء

العلاج بالقرآن والطب العربي، له تأثير كبير على الناس، ودائمًا ما يتحدثون عنه: الفقيه قال، الفقيه كتب لولدي حرزًا فتعافى، الفقيه عالج زوجتي من المس، الفقيه كتب سورة الواقعة فنزل المطر، الفقيه يقرأ الكف، ويكشف الطالع ويعرف النجوم.

يعتقد الكثير منهم بأنه وليٌّ مكشوف عنه الحجاب، لكنني عرفته من أول لقاء بأنه دجال.

ذهبت إليه سرًا، ونصحته لكنه أعرض عني ساخرًا، وهددني بأن يسلط عليَّ أعوانه من الجن! .. حذرت الناس منه، وكشفت حقيقته وناقشته في مقيل الشيخ **فأفحمته فبُكِّت قائلًا**:

– أنت ضيف عندنا ولن أرد عليك.

وأضاف مهددًا:

– ويعلم الله ماذا سيحدث لك؟

قد تنهشك حية في الليل، أو يلدغك ثعبان في فراشك، أو تصيبك رصاصة طائشة، فمن يعادي أولياء الله مصيره بشع. أدركت أنه يهددني لكني لم أخف منه. الغريب أن الشيخ وقف معي وصاح في المجلس:

– المدرس ضيفنا، وفي حمايتي شخصيًا، وإذا حدث له شيء فأحمد جابر غريمه، اشهدوا يا ناس، لقد هدده أمامي.

في تلك الليلة، فُوجئت بالشيخ يطرق باب سكني، جلسنا وتحدثنا. أخبرني أنه يعرف حقيقة أحمد جابر وأكاذيبه على الناس، وأنه دجال خبيث، وحذرني منه؛ فهو لن يتورع عن إرسال من يدس لي السم، أو يقتلني بالرصاص إذا واصلت التحريض عليه. سيفعلها أعوانه حين يغادر إلى المدينة ليبعد عن نفسه التهمة.

لم تمضِ سوى أيام حتى غادر أحمد جابر إلى المدينة. حينها أخذت كافة احتياطاتي وحذري. زودني الشيخ بمسدس، ونصحني سرًا أن أنام في السطح وأترك الأضواء في السكن، وأفتح صوت الراديو وأضعه في النافذة حتى يتأكد من سيستهدفني أنني في السكن. مددت عدة وسائد على فراشي ودثرتها كأنني أنا النائم، وجعلت الباب شبه مفتوح، فهاجم السكن مسلح مجهول، أطلق النار على فراشي ولاذ بالفرار. أبلغت الشيخ ومديرية الأمن بالناحية بما حدث لي.

في اليوم التالي، جاء إلى المدرسة أحد أقارب أحمد جابر يدعوني لتناول الغداء في منزله فاعتذرت له. وفوجئت به في المساء يأتيني بطعام فاخر فوعدته بتناوله، ولما غادر وضعت جزءًا منه للقطط فماتت بعد تناولها. لقد دسوا فيه السم فعلًا.

فشلت كل محاولات اغتيالي، وبدأ الناس في القرية يتحدثون عن محاولات "الفقيه" لقتل المدرس، وانكشفت حقيقته للكثير منهم. المشكلة أن الناس صاروا ينظرون لي كأنني ولي من أولياء الله الصالحين، لا تؤثر فيَّ الرصاص ولا يقتلني السم!

ولما فشلت عصابة المشعوذ في اغتيالي بأي وسيلة، عاد أحمد جابر ذات ليلة تحت جنح الظلام، لم يعد إلى بيته بل جاء إلى سكني وهو يردد:

- يا غريب كن أديبًا، وإلا نهايتك قريب.

بحث عني في السكن فلم يجدني، كان غاضبًا يسب ويشتم ويهدد ويتوعد. أمسك بجهاز المسجل الذي يقرأ القرآن ورماه على الأرض حتى تفتت، بعثر أدوات السكن وخرب بعضها. بحث عني في الفصول وبجوار المدرسة، وأنا أراقبه بصمت من سطح السكن.

تركته يجري هنا وهناك، ويسب ويشتم كالوحش المسعور حتى خف غضبه وتوقفت حركته وجلس يمضغ القات بصمت، وحينها هاجمته بغتةً من الخلف ووضعت المسدس خلف رأسه صارخًا فيه:

- أين أعوانك من الجن يا دجال؟!

ارتبك وتلعثم ولم يستطع النطق، كان يرتجف مثل دجاجة تم ذبحها للتو. صرخت فيه:

- أنت جبان كذاب، تخدع البسطاء وتضحك على النساء، والليلة ستنتهي قصتك وتظهر حقيقتك، ستسير وسط بيوت القرية، وتعترف بجرائمك وأفعالك، هيا تحرك أمامي.

تحرك أمامي صاغرًا متوسلًا عارضًا عليَّ الأموال الكبيرة مقابل تركه وشأنه. حين اقتربنا من منزل الشيخ، حاول الفرار فأطلقت رصاصة في الجو؛

وحينها حدث ما لم يخطر لي على بال، لقد سقط على الأرض. في البداية، ظننت أنه يمثل عليَّ، وأنها لعبة منه، وحين قلبته وحاولت سماع نبض قلبه وجدته ميتًا دون حراك!

أقبل الشيخ كأنه كان ينتظرنا، كان يقود أحد الكلاب، أخذ مني المسدس ووضع فيه كاتم الصوت وأطلق النار على الكلب. أشار عليَّ بالعودة إلى السكن فورًا، وأن أصمت تمامًا وسيتولى هو الأمر.

بعدها تجمع الناس. فأكد لهم الشيخ أنه أطلق الرصاص على الكلب لأنه مسعور، وقد طارد أحمد جابر ليعضه، وأنه مات من الخوف، وفعلًا لم يجد الناس في أحمد جابر أي خدش أو أثر للرصاص. كما أكد الطبيب أن أحمد جابر مات بالسكتة القلبية. وحينها تخلصت القرية من أحقر مشعوذ دجال وتخلصت من أكبر هم عرفته في حياتي.

وأشرق في القرية صباح جديد.

بيت تسكنه الخرافة!

أيقظتني أمي مع أذان الفجر. وعلى ضوء الفانوس، تناولتُ فطوري الساخن، وأنا أتساءل:

– إلى أين سترسلني أمي في هذه الساعة؟!

وحين بدأ الديك ينفض ريشه ويمط رقبته ويصيح، كنتُ قد أكملتُ تناول فطوري، فسلمتني أمي الكيس، ووضعت حدًا لفضولي:

– هذه علبة عسل وهذه علبة سمن، سَلِّمْهما للولي شهاب الدين في رأس جبل الصفا.

كنا نرى من منزلنا ضريح الولي كنقطة بيضاء تزين رأس الجبل البعيد، لكن الوصول إليه سيرًا على الأقدام يتطلب ساعتين على الأقل. وأضافت أمي:

– عندما مرض أخوك نذرتُ للولي إن تعافَ بعلبة عسل وعلبة سمن، وقد تعافى ولا بد من الوفاء بنذري.

ودست في جيبي خمسين ريالًا. سألتها:

– وهذه الفلوس للولي؟

– لا، هذه لك لأنك ستتعب في صعود الجبل.

ومضيت وأمي ترقبني .. رويدًا رويدًا بدأ الصبح يرسل أول خيوط الضياء، اختفى بيتنا عن ناظري، بدأت أقدم رجلًا وأؤخر أخرى.

لن أذهب إلى الولي؛ لأن الولي قد مات، ومن يأكل العسل والسمن هو القائم على الضريح، ولن يعلم بما حدث. سأذهب إلى الولي وأسلم العسل والسمن إلى قائم الضريح، والخمسون ريالًا تساعدني في شراء كرة جديدة بعشرين ريالًا، وما سيبقى سأصرفه في المدرسة لأسابيع. لن أذهب إلى الولي، سأذهب إلى سوق الربوع وأبيع العسل والسمن هناك، ثم أتمتع بالنقود وأشتري كرةً جديدةً وبذلة رياضة وثوبًا جديدًا، وهذا الحذاء بدأ يتمزق، سأشتري أيضًا حذاءً جديدًا.

لكن ماذا سأقول لأمي؟ .. من أين جئت بقيمة البذلة والثوب والحذاء؟! .. هل ستغضب أمي إن أخبرتها أنني لم أذهب إلى الولي؟ .. هل ستضربني؟ .. هل سيخبرها الولي بأنني لم أذهب إليه؟ .. كيف سيخبرها وقد مات؟!

صراع رهيب في داخلي، وأخيرًا حسمت الموقف. أوقفت أول سيارة وركبت إلى السوق. في السوق وجدته؛ كان يجلس على دكة مرتفعة ويدخن المداعة "النرجيلة"، إنه صديق أبي، أتذكر أنه كان يزورنا ويعطيني عشرة ريالات، فكيف أنساه؟!

وحين صافحته سألني على الفور:

- أنت ابن المرحوم؟

– نعم.

احتضنني، وترحم على والدي وطفرت دموعه. طلبت منه أن يبيع لي العسل والسمن؛ لأننا نحتاج للنقود لنذهب بأخي المريض للعلاج في المدينة. فتح علبة السمن وشمها:

– ما شاء الله، سمن بلدي ممتاز.

وفتح علبة العسل ومد إصبعه وتذوق العسل:

– عسل سدر بلدي فاخر.

نادى ولده وسلَّمه العسل والسمن، ثم أخرج من جيبه رزمة كبيرة من النقود وسألني:

– كم تحتاجون من الفلوس لعلاج أخيك؟

فاجأني سؤاله:

– لا أعرف، أول مرة سنذهب إلى المدينة.

وبدأ بالعد: مائة، مائتين، ثلاث، أربع .... ألف ريال. وضع النقود في جيبي ثم حذرني من اللصوص. وأضاف:

– أنا أشتري أفخر علبة عسل بلدي بمائة ريال، وأفخر علبة كبيرة من السمن البلدي بخمسين ريالًا. لكن لأنك ابن المرحوم، هذا ألف ريال اعتبره هدية مني. وربنا يشفي المريض ويعافيه. وإذا احتجتم لأي شيء فأنا بمقام والدك.

ودَّعته ودخلت السوق، اشتريت البذلة والكرة وبعض الحلوى، ثم ركبت أول سيارة باتجاه قريتنا. وضعت يدي على جيبي حتى لا يسرق أحد نقودي، وباليد الأخرى ما اشتريته من السوق، وحين وصلت منزلنا لم تكن أمي بالبيت، من المؤكد أنها في الحقل وإخواني في المدرسة، فرحت لأنني نجوت من أسئلة أمي التي قد توصلني للاعتراف بكل ما حدث.

وجدت المفتاح في النافذة، فتحت الباب، وخبأت البذلة والنقود في مكان لا يخطر على بال أمي، وبقيت ألعب بالكرة حتى عادت أمي.الغريب أنها لم تسألني عن شيء، فلم يخطر ببالها أنني لم أذهب، ولم يكن لدي أي شعور بالذنب. بقيت أبحث عن كذبةٍ جديدةٍ أبرر بها حصولي على البذلة والنقود، وحين أعياني التفكير قررت أن أعترف لأمي بما حدث وليكن ما يكون.
اقتربت من أمي. فقرأت على وجهي التردد وأنني أخفي عنها أشياء:

– مالك؟ ماذا فعلت؟

– أريد أن أعترف لكِ بكل صراحة.

– قل، ماذا حدث؟

اعترفت لأمي بكل ما حدث، لكنها لم تصدقني. أخرجت البذلة والنقود ورغم رؤيتها للدليل، إلا أنها لم تصدقني. سلمتها النقود ولبست البذلة وأمي لم تصدقني. مرت أسابيع ثم أشهر، تمزقت الكرة وصارت البذلة بالية وأمي لم تصدق ما قلته.

مرت أعوام، مات الشيخ صديق والدي فتذكرت ما حدث **وسألت أمي**:

– لماذا لم تصدقي أنني لم أذهب إلى الولي بالسمن والعسل؟!

وصعقني جوابها:

– لأن من يسرق نذر الولي يحوله إلى خروف، لكنك ما زلت ولدًا!!

الطلب الغريب!

فوجئت بصديقي رشاد يأتي إليَّ، ويطلب مني أغرب طلب تلقيته من صديق في حياتي! .. لقد ظننت أنه يمزح، لكني صُدمت بأنه جاد. **قال:**

– أريدك أن تكتب لي شخطتين لأجل زوجتي..

قاطعته:

– كيف لأجل زوجتك؟!

– زوجتي منذ تزوجتها، كلما سامرتها بكلام رومانسي تنام على طول.

– كيف تنام؟ ما فهمت؟!

– في الليل عندما نسمر، ما إن أبدأ بكلام رومانسي حتى تنام. ترد عليَّ بشخيرها. فأصرخ فيها: خلاص قومي نامي بعيدًا عني.

وأضاف:

– مؤكد هناك من عمل لها سحرًا لأجل يفرق بيننا.

سألته وقد فهمت قصده:

– وأنت تريدني أكتب لها شخطتين أفك السحر هذا؟!

– نعم، هذا هو المطلوب.

ثم أخرج رزمة من النقود، ودسها في جيبي. أعدت إليه نقوده. وأفهمته أنني لا أكتب لا سحرًا ولا شعرًا. لكنه لم يقتنع بكلامي. وبدوري لم أستوعب قصته: كيف أول ما يكلمها بكلام فيه حب ورومانسية تنام؟ .. **ولذا سألته:**

– متى تصحو زوجتك؟

قال:

– تصحو قبل الفجر، تجهز للوالد والوالدة القهوة، وتصلي الفجر، وتجهز للوالد النارجيلة وتُعمّر له البوري، وبعدها تذهب لتغرف الماء من الجبل، ثم ترجع لتعمل لنا الفطور. وبعد ذلك تروح الوادي ترعى البقر، لتعود ظهرًا كي تعمل الغداء، وبعدها تذهب لتغرف ماءً من الجبل، ثم تذهب تجمع الحطب، وبعد المغرب تجهز العشاء.. قاطعته:

– حتى لو هي مصنوعة من حديد ستتعب وتتعطل.

– أصلًا هم زوجوني إياها لأجل أن تعمل! .. بعد أن قاموا بتزويج أخواتي قالوا: لابد أن نزوج رشاد بفتاة نشيطة مثل النحلة لا تتوقف! .. بعد أيام عادت أمي من الوادي وسمعتها تكلم أبي: اليوم شفتُ سندس بنت عبد السلام أحمد، ما شاء الله تبارك الله، ترعى البقر وتعود وهي تحمل حزمة كبيرة من الحطب فوق رأسها. غدًا نذهب لنخطبها لرشاد .. وذهبنا خطبناها وتزوجت!

قلت له وقد استوعبت الأمر:

– أنت ما تزوجت زوجة، أنتم جئتم بشغالة، فما الداعي لكلام الحب والرومانسية؟!

– هاه.

حاولت أن أوضح له أن زوجته المنهكة من العمل المتواصل من قبل الفجر من الطبيعي جدًا أن تنام بعد العشاء، لكنه أصر على أن أكتب له شخطتين، فدفعته قائلًا:

– يا قليل العقل، أرح زوجتك ولو قليلًا؛ وستسمع منها قصائد الغزل والحب والرومانسية كلها.

لم يقتنع بنصيحتي ومضى وهو غاضب مني لأنني لم أنفعه! .. بعد أيام رأيته في الطريق **فقال:**

– أنا رحت عند ياسين ملهي الذي ينفع الناس.

وأضاف:

– رحت عند ياسين ملهي وعمل لي رقية زيادة محبة. وستشربها سندس وتسهر معي إلى الفجر..

قاطعته:

– وحين تسهر معك للفجر من الذي سيعمل ويخدمكم؟!

– هي ستعمل بالنهار وتسمر معي بالليل.

ثم أخرج من الكيس علبة كبيرة، فيها سائل أسود. فحاولت انتزاعها منه وسكبها على الأرض **لكنه دفعني قائلًا:**

– أنت مجنون تريد أن تسكب العلاج؟! أنا دفعت قيمته ثلاثة آلاف ريال (كانت يومها في نهاية الثمانينيات ثروة كبيرة).

نصحته وحذرته لكنه لم يستمع إليَّ. حين عاد إلى البيت صب لزوجته كأسًا وطلب منها أن تشربه وما إن تذوقت مرارته حتى رمت بالكأس وانسكب ما فيه. صرخ فيها وهددها. ثم سكب لها كأسًا آخر، فرفضت أن تشربه، فضربها وشتمها هي وأهلها فبكت وسكتت. **وبعد الفجر فرت إلى بيت أبيها قائلة:**

– رفضت أن أشرب السم الأسود فشتمني وضربني وسب أهلي.

في اليوم الثاني جاء يريد زوجته فطردوه شر طردة. فذهب إلى الشيخ يشكوهم. كنت أراه هو ووالده يشترون حزم القات ويذهبون إلى الشيخ كل يوم. ولم ينتهِ الشهر حتى طلق زوجته!

بعدها رفض كل أهالي القرية والقرى المجاورة تزويجه فذهب إلى الغربة .. ومن يومها لم يعد.

هدم الخرافة

ما إن غادرتُ منزلنا في ذلك الصباح الباكر حتى تمنيتُ أن تأتي سيارة وتقلني إلى المدرسة التي ما تزال بعيدة خلف ذلك الجبل الذي لا أرى بعده أي شيء.

مشيتُ قليلًا، ثم فوجئتُ بعمتي زهراء تقف على قارعة الطريق كأنها كانت تنتظرني! .. وهي ليست عمتي أخت أبي، لكننا عندما نذهب إلى الوادي كنا نراها، أرضهم بجوار أرضنا، وكثيرًا ما كانت أمي ترسلني إليها في بيتها وتقول:

– اذهب إلى عمتك زهراء.

ومن يومها صرتُ أناديها عمتي.

استوقفتني قائلة:

– عبد الرحمن ابن عمك حسن خرج يلعب بعد العصر مع الأطفال وسفّهه الشيطان فلم يعد إلا وقد مرض. وظل مريضًا لأيام، فنذرتُ إن تعافَ بعلبتين سمن وبـ 300 ريال للولي قاسم المبروك. والآن الولد قد تعافى، ولا أستطيع أن أذهب إلى ضريح المبروك.

ثم ناولتني الكيس والنقود، قائلة:

– خذ السمن وضعه في ضريح المبروك.

– والنقود يا عمتي؟

– والنقود ألقها من النافذة إلى الداخل.

وسألتها:

– لكن أين هذا الضريح يا عمتي؟

– حين تصل طلعة قرية الكريف ستجده هناك فوق السد برأس التل، هناك الضريح.

وضعتُ الكيس في حقيبتي والنقود في جيبي ومضيتُ. جاءت سيارة فحاولتُ إيقافها لكنها مضت مسرعة، كأنها ستطير! .. مضيتُ وتذكرتُ أن لدينا امتحانًا في مادة الرياضيات، فتعكّر مزاجي وهجم عليَّ الهمُّ، فمعرفتي بهذه المادة كمعرفة عمتي زهراء بالفيزياء!

وقبيل أن أصل طلعة قرية الكريف جاءت سيارة فأشرتُ لها بيدي فتوقفت، وركبتُ أخيرًا بعد ساعة من المشي، ولحقتُ بطابور الصباح ونسيتُ قصة الضريح. ولحسن حظي فإن أستاذ الرياضيات السوداني محجوب نور الزمان قد غاب بسبب مرضه. لقد انزاح عني همُّ الامتحان أو تأجّل للأيام القادمة.

بعد الدراسة أصرَّ زميلي أحمد حسان بأن أذهب معه لزيارة الأستاذ محجوب في سكن المدرسين، وتحت إلحاحه الشديد ذهبتُ معه. حين وصلنا وصافحنا الأستاذ الذي جلس على سريره، فوجئتُ بأحمد يفتح حقيبته، ويخرج كيسًا من الكعك ويقدمه للأستاذ الذي **نظر نحوي قائلًا:**

– وأنت جبتَ شنو يا زول؟

وغشيني العرق وارتبكتُ، وبأيدٍ مرتعشة فتحتُ حقيبتي وناولته علبتي السمن والعسل، **فقال ضاحكًا:**

– عليك الله يا زول دي هدية كبيرة.

وأضاف:

– السمن هدية منك لكن العسل سأدفع لك قيمته، ومدَّ يده إلى تحت مخدته وأعطاني ألف ريال؛ عشرة أوراق جديدة حمراء من فئة 100 ريال.

وخرجتُ من عند الأستاذ وبجيبي 1300 ريال، وأنا لا أصدق أن بجيبي هذا المبلغ الذي كان في مطلع التسعينيات يمثل ثروة كبيرة بالنسبة لطفل بعمري. ولكنني رغم فرحي بالنقود كنت خائفًا، وأرى أن ما فعلته سرقة، ولذا قررتُ أن أعيد النقود لعمتي زهراء.

صحيح أنها ستوبخني وربما ستقرصني في أذني لأني تصرفتُ في نذرها، لكنني سأتحمل. عدتُ إلى قريتي وقد قررتُ أن أذهب إلى عمتي زهراء وأروي لها كل شيء. لكنني ما إن وصلتُ إلى بيتنا بعد الظهر وأنا في غاية التعب والإرهاق والجوع والعطش، حتى فوجئت بأن بيتنا مغلقٌ وكذلك بيت عمي المجاور لنا وليس في المكان أحد!

وتذكرتُ أن اليوم الخميس عرس ابن عمي فوضعتُ حقيبتي على الباب وانطلقتُ إلى العرس. وبقيتُ في بيت عمي إلى مساء اليوم التالي الجمعة حيث

عدتُ إلى منزلنا، وفي الصباح ذهبتُ إلى المدرسة.

لقد كنتُ محظوظًا هذه المرة. فما إن مشيتُ قليلًا حتى جاءت سيارة وركبتُ فيها إلى أن وصلتُ إلى طلعة قرية الكريف. وهناك رأيتُ الضريح. فأوقفتُ السيارة ونزلتُ. لقد قررتُ أن أذهب إلى الضريح وأراه من قرب.

صعدتُ التل حتى وصلتُ إليه. مبنى صغير متهالك بقبة بيضاء قد تشققت، وتكاد تسقط في أي لحظة. ومن النافذة رأيتُ القبر وبجواره الكثير من علب العطور وبعض علب السمن والعسل ونقود.

وضعتُ الحقيبة جانبًا، وتسللتُ من النافذة إلى الداخل، جمعتُ علب السمن والعسل والنقود وأنا أرتعد من الخوف. أسرعتُ خارجًا وقد ملأتُ جيوبي بالنقود، وملأتُ حقيبتي بتلك العلب ومضيتُ مسرعًا، وأنا أتلفتُ خلفي هل رآني أحد؟! .. أسرعتُ وأنا في حالة من الخوف والارتباك ولم أهدأ إلا بعد أن ابتعدتُ ورأيتُ المدرسة من بعيد. وفي الفصل، كنتُ شاردًا غارقًا في التفكير أتخيل أن كل الناس قد علموا بأنني نهبتُ ما في قبر المبروك. والله وحده يعلم كيف ستكون نهايتي؟!

وعُدتُ إلى قريتنا وأنا أتحسس النقود في جيبي رُزمًا صغيرةً مبرومةً، بعضها من فئة الخمسين، وبعضها من فئة العشرين، وأخرى من فئة 100 ريال. كنتُ فرحًا بالنقود لكنني ما زلتُ أعيش في خوف. أخشى أن يأتي "المبروك"، ويبرك فوقي وأنا نائم ويخنقني جزاءً لي على ما فعلتُه.

لقد استبدت بي الحيرة ولا أدري كيف أعمل؟ وهل ما عملتُه هو الصواب أم أنه حرام؟! .. وذهبتُ إلى إمام الجامع وحدثتُه بكل ما فعلتُه. **فضحك حتى كاد يشرق بالقات وقال:**

– ما فعلتَه هو الصواب. وهذه النقود مصروفك للمدرسة، لأن هذا كله شركٌ ولا يجوز.

– يعني الفلوس وكل شيء لي؟

– لك، حلالٌ عليك.

ولم أسترح لما قاله وبقي في نفسي شيء. وبقيتُ أفكر وأنا أتقلب في فراشي ولم أنم إلا آخر الليل.

وفي الصباح انطلقتُ إلى المدرسة. وعندما وصلتُ طلعة قرية الكريف رأيتُ الكثير من الناس قد تجمعوا وهناك لغطٌ وشجارٌ. فسألتُ أحدهم عما يحدث **فقال:**

– أشخاص هدموا ضريح المبروك.

بعد عودتي من المدرسة، ذهبت إلى عمتي زهراء وأخبرتها بما حدث للضريح. وسلمت لها النقود. وحينها أمسكت بأذني وقرصتها بقوة حتى أحسست بأنها قد خلعتها. صرخت وتألمت وكدت أرشقها بالحجارة. وحينها ضحكت ثم دست النقود في جيبي. **وقالت:**

– النقود لك مصروف للمدرسة.

ثم أضافت:

– مرة ثانية لما أرسلك للمبروك لا تكذب عليَّ وتقول لي: هدموا الضريح وتأخذ النقود.

حلفت لها الأيمان المغلظة أنهم هدموا الضريح لكنها لم تصدقني. **وقالت:**

لو قربوا من ضريح الولي سيخسف بهم الأرض!

سقوط الخرافة

في منتصف شعبان نحتفل كأنه عيد! .. نزين البيت ونلبس الجديد ونذبح الذبائح. وفي المساء تعد أمي لكل فرد منا كعكة. ننتظر فطائر الكعك على أحر من الجمر، تضعها في التنور. نراقبها بخوف وقد وضعنا أيدينا على قلوبنا؛ فمن تسقط كعكته وتحترق فهذا يعني أنه سيموت.

ولأن لي مكانتي الخاصة عند أمي؛ فقد أعدَّت فطيرتي قبل الجميع، نضجت فأخرجتها ساخنة، تنفست الصعداء فرحًا، لقد نجوت من الموت. شرعت ألتهم الفطيرة بشهية والفرحة تزغرد في عيني، لم يعد يهمني ما سيحدث للآخرين! .. في أعماقي، تمنيت أن تسقط كعكة أختي الكبيرة، تضربني باستمرار وتمنع أمي من تدليلي، لقد عاتبت أمي لأنها بدأت بتجهيز فطيرتي قبل غيري.

قلت في نفسي متمنيًا:

- ليت فطيرتها تسقط وتموت.

في ذلك اليوم، حدث ما لم نكن نتوقعه. لقد سقطت فطيرة أمي واحترقت، ألجمتنا المفاجأة واجتاحنا شعور عارم بالحزن. لقد أيقنا أن أمنا ستموت بلا شك فهرعنا نحضنها ونقبل رأسها ونبكي بينما **ضحكت قائلة:**

- الأعمار بيد الله، لا تخافوا من هذه الخرافات.

عندما وجدناها قويةً متماسكةً؛ حاولنا التماسك ونسيان ما حدث. لكن جدار الأمان في داخلنا كان قد تداعى، فحولنا المنزل إلى سرادق عزاء حتى بدأ الخوف يهاجم أمي.

في ذلك اليوم العصيب الأسود، طلبنا من أمي أن تسامحنا وتدعو لنا، وعلى الفور تحولت أمي إلى ملكة، وتحولنا إلى خدم لها. جهزنا لها أفخر مجلس وشرعنا ندللها ونقبل أقدامها، منعناها من دخول المطبخ أو القيام بأي عمل، تأمر فنسارع إلى طاعتها، تتحدث فنصغي لحديثها، ما تتمنى شيئًا إلا وسارعنا إلى تنفيذه.

لقد قطعنا على أنفسنا عهدًا ألا تموت إلا وهي راضية عنا؛ والله وحده يعلم كم بقي من عمرها؟

ربما ساعات

أو أيام..

أو أسابيع.

لكنها ستموت بلا شك فقد سقطت فطيرتها واحترقت.

وكانت ليلة حزينة، انزوى كل واحد منا في ناحية من البيت يبكي الرحيل المنتظر لأمنا التي تذكرنا فجأة فضائلها، وقصص تمردنا عليها وندمنا أشد الندم. صلينا ودعونا الله أن يطيل عمر الوالدة، مسحنا دموعنا وحاولنا إخفاء حزننا وتحلقنا حولها من جديد. لأول مرة تعرف منا الطاعة التي كانت تتمناها.

نمت بجوارها، وحين صحوت في منتصف الليل وجدتهم قد نقلوني إلى غرفة أخرى، كنت وحيدًا فخرجت أبحث عنهم، كان إخواني كلٌّ في زاوية يبكي بصمت فيما أمي ما تزال تمضغ القات في المجلس والمداعة (النارجيلة) تقرقر. من الباب استرقت النظر إليها، تنفث دخان المداعة وهي غارقة في شرودها، حتى الراديو الذي تعودت على سماعه يقبع صامتًا في النافذة.

لمحتني ونادتني فذهبت إليها احتضنتني وقبلتني، وشرعت تحكي لي القصص. وظلت يداها تحسس شعري حتى نمت بجوارها من جديد. في اليوم الثاني عقدنا اجتماعًا مهمًا في إحدى الغرف وقررنا أن تذهب أمي للحج، سنبيع الثور والبقرة ونصف الأغنام لتذهب إلى الحج، لكن أخي تساءل:

- هل ستعيش أمي إلى موسم الحج؟!

وحينها انفجرنا بالبكاء، ولم نسكت إلا حين اقتحمت أمي اجتماعنا متسائلةً عما يحدث. لقد أخبرتنا أنها سألت عمها الشيخ سالم وهو عالم كبير:

- هل يموت من تسقط فطيرته؟

فأكد لها ضاحكًا أنها خرافات غير صحيحة. لم نصدقها، لقد ظننا أنها تريد تطميننا ليس إلا. رفضت أمي أن نبيع المواشي لتذهب للحج أو العمرة، أكدت لنا أنها غير قادرة على الذهاب للحج وتركنا لوحدنا.

وتوالت الأيام وجاء موسم الحصاد فحرصنا على أن تظل أمي بالمنزل، قمنا بكل الأعمال نيابة عنها. لقد حرصنا على ألا تخرج من البيت. لقد سمنت

أمي وزاد وزنها وابيضَّ وجهها لبقائها بالبيت كأنها عروس تستعد للزفاف. لقد أعجبها تفانينا في خدمتها، تأمر فنطيع، وحين تتحدث نصغي لها بكل اهتمام. **وحين ينسى أحدنا قصة الفطيرة ويتباطأ في خدمتها تقول:**

– الله يعلم كم بقي في عمري.

وتتأوه وتردد:

– أسأل الله حسن الختام.

وحينها نتذكر ما حدث ونهرع إلى خدمتها وطلب السماح منها. لقد انتظم شأن البيت وصارت أمي أسعد نساء القرية.

تمضي الأيام ونحن نعيش بخوف، ونواصل خدمة أمي التي ما تزال تعيش معنا بكامل صحتها وتدعو لنا. رغم الخوف الذي نعيشه فقد مر العام سريعًا، ولم يبقَ على منتصف شعبان إلا شهرٌ واحدٌ نعد أيامه بكل خوف. لقد نذرنا لله أن نصوم شهرًا كاملًا إن نجت الوالدة من الموت. ودخل شهر شعبان وصارت الأيام تمضي بطيئة ثقيلة.

كل صباح نصحو بفزع نتفقد أمي، وحين نجدها تشرب قهوتها وتستمع للقرآن نحمد الله أنها ما تزال على قيد الحياة. وفي منتصف شهر شعبان كانت فرحتنا الكبرى أن أمي تجاوزت مرحلة الخطر ولم تمت كما توقعنا. تحلقنا حولها وهي تعد الكعك.

لم يعد الخوف يداهمنا كما كان في الماضي .. فهذه أمنا لم تمت رغم سقوط فطيرتها، في هذا العام أخرت أمي فطيرتها إلى النهاية لكنها لم تسقط، حينها فرحنا واحتفلنا بنجاتها فيما كانت أمي الوحيدة التي حزنت لعدم سقوط فطيرتها!

الآن نتذكر ما حدث ونضحك على جهلنا.

جريمة مشعوذ

عندما اقترب العيد؛ غادرت منزل عمي برفقة أختي التي جاءت لتعيدني إلى البيت. في البداية عاندت ورفضت أن أرجع **فقالت رضية بنت عمي:**

– خليه هنا علشان العريس يأخذه مع سمية إلى بيته.

ضربت أختي على صدرها قائلة:

– يا فضيحتاه.

فقالت ميمونة:

– عندما يأتي العريس سنقول له: هذه سمية وهذا الذيل حقها.

وضحكن. غلا الدم في عروقي وخرجت ألتقط الأحجار لأرجمهن لكنهن كن قد اختفين. بحثت عنهن في كل مكان فلم أرهن! .. ظلت سمية تتحدث مع أختي عن عرسها ثالث أيام العيد. وأنا أبحث عن البنات لأنتقم منهن لكنهن كن قد اختفين كأنهن تبخرن!

كنت قد قررت أن أختفي أنا الآخر حتى أبقى في بيت عمي؛ لكن استفزاز البنات لي جعلني أعود مع أختي. بعد العصر ودَّعتنا سمية وأعطتني كيسًا من الكعك، ودسَّت في جيبي 20 ريالًا. وما إن خرجنا من بيت عمي حتى أطلت رضية من النافذة **وأخرجت لي لسانها ساخرة:**

– ذيل سمية هرب.

أردت العودة لأرجمها. لكن أختي أمسكت بي وسحبتني. ومضينا وأنا أتوعدها بالانتقام. وحين كنا على مشارف القرية نظرت فرأيت سمية ما تزال بجوار بيت عمي واقفة وتنظر إلينا حتى غبنا. بعد العيد تزوجت سمية، لم أحضر عرسها لكنها أرسلت لي كيسًا من الحلويات والسكاكر وكرة جديدة.

وبقيت ألعب بالكرة حتى حل الظلام. فقمت ألعب داخل البيت فأوقعت الكرة أطباق الزجاج التي تكسرت، فأخذت أمي العصا وضربتني ففررت هاربًا خارج البيت وأنا أبكي. وبقيت بين الظلام وأنا أرتجف من الخوف وأبكي. نادتني أمي فرفضت الدخول، كررت النداء **فأصررت على عنادي فقالت:**

– ليت الطاهش يجي يأكلك ويخلصني منك.

وحينها عدت إلى الداخل مسرعًا، وأنا أنظر خلفي هل جاء الطاهش؟

حين سافر زوج سمية إلى السعودية أرسلت إلى أمي امرأة محملة بالمانجو والرمان، وطلبت من أمي إرسالي إليها فهي وحيدة في بيتها. وما إن سمعت كلام المرأة حتى رحت أجمع ثيابي والكرة ونقودي استعدادًا للرحيل وسط ضحكات إخواني وتعليقاتهم اللاذعة.

ودعتني أمي فمضيت مع المرأة التي ظلت طيلة الطريق صامتة حتى وصلنا فوجدنا البيت مغلقًا. وقد فرحت أن البيت جديد ويحيط به حوش كبير سألعب فيه. جاءت سمية من الحقل بحزمة من كيزان الذرة. وما إن وصلت وفتحت

الباب حتى ودعتها المرأة ومضت. كانت سمية تسألني عن أمي وإخواني بينما كنت أتأمل بيتها الجديد.

بعد أسابيع، وصلتها رسالة من زوجها من السعودية؛ ثياب وعطور وبهارات ورسالة كانت تقرأها سرًا وتبكي. وكلما مضت الأيام وكثرت الرسائل كلما نحلت وزادت من البكاء والشرود كأنها عصفورة وحيدة في قفص.

وحين جاء ابن عمي مهند ذات صباح ذهبت معه إلى بيت عمي، وما إن وصلت حتى **قلت لجدتي**:

- أريدك لوحدك يا جدة لو سمحت.

أخرجتُ مَن كان معها في الغرفة فكلمتُها عن سمية وحالتها، **فهزت رأسها قائلة**:

- هي مشتاقة لزوجها فلا تخف عليها.

وأضافت:

- سأكلم أباها يكتب له جوابًا يستعجله بالعودة.

ذهبتُ إلى عمي، كان يجلس في الظل بجوار البيت ويدخن المداعة (النرجيلة)، **كلمته عن حال سمية فقال**:

- سنزورها غداً وإن شاء الله خير.

في اليوم الثاني جاء عمي وجدتي وعمتي خديجة وبعض أولاد عمي.

قالت عمتي:

– بنتي استضرت من الجلوس لوحدها ولازم يجي الفقي أحمد ملهي يقرأ عليها.

عارضت جدتي وعمي هذا الكلام إلا أن عمتي أصرت أن سمية استضرت! .. حاولوا إقناعها بكل السبل إلا أنها أصرت أن سمية قد تلبسها الجني. أسرعتُ إلى سمية في المطبخ وأخبرتها بما حدث، فاسودَّ وجهها وتغير لونها وتركت كل شيء في المطبخ **وعادت إليهم قائلة:**

– أنا بخير وأقرأ القرآن كل يوم. فقط أشتاق إليكم وأحزن.

ضحكت ميمونة وقالت مازحة:

– تشتاقين لنا أو لزوجك؟!

لم ترد عليها سمية. كانت غاضبة وقد تحول وجهها إلى جمرة ملتهبة.

وأصرت عمتي أن تأتي بدبوان ملهي يكتب حرزًا لسمية وللبيت ويطرد الشياطين، ويعالجها من أعين الحاسدين. لكن سمية أقسمت ألا يدخل ذلك المشعوذ بيتها. غضبت عمتي وغادرت البيت وهي تدعو على سمية وتصفها بـ "العاصية".

بقيت جدتي عندنا وتحسنت أحوال سمية، ولم أعد أراها تبكي، لكننا فوجئنا بعمتي خديجة تأتي ذات صباح يتبعها مهند والفقي أحمد ملهي، كانت سمية في الحقل تأتي بالجهيش فلم تعد إلا بعد أن دخلوا!

حين وصلت سمية صاحت وطردت المشعوذ من بيتها **إلا أنه قال بكل برود:**

– أنتِ ملبوسة بجني عاشق. ولن أغضب منكِ.

ثم نظر إليَّ وقال:

– وهذا الجاهل بينه جني صغير.

وصرخت فيه:

– أنا بيني جني صغير يا مشعوذ يا دجال؟!

ثم قمت أشتمه فدفعتني عمتي بعيداً وهي تقول:

– أنت تروح بيتكم لا أشوف وجهك.

وفوجئت بعمتي خديجة ومهند يمسكان سمية ويطرحانها أرضـاً؛ فيما انهال المشعوذ عليها بالضرب. **وشرع يخنقها ويهزها بعنف وهو يقول:**

– اخرج يا ملعون من جسدها بحق أسياد الجان. اخرج. اخرج. اخرج بحق سهسوب وطهطهوب وشمهورش وأسماء غريبة نسيتها.

وحينها أسرعت إلى جدتي التي كانت نائمة وأنا أصرخ:

– جدة قومي، المشعوذ يخنق سمية.

وأسرعت جدتي وبيدها عصاها فانهالت على المشعوذ بالضرب فترك سمية وهي بالرمق الأخير. وتحولت جدتي إلى وحش ضارٍ فلم تتركه بل واصلت

ضربه بكل قوة، وهو يفر هاربـًا خارج البيت وهي تلاحقه بالضرب، وأسرعت أجمع الأحجار وأرشقه بها ففر هاربـًا وهو يسب ويهدد!

وعادت جدتي فطردت عمتي ومهنداً من البيت ثم رشت سمية بالماء ففاقت. **كانت ترتعش كعصفورة بللها المطر وهي تقول:**

– والله إني شفت الموت. الله يحفظك يا جدة، لولاكِ أنتِ ومحمد كان المشعوذ قتلني. الحمد لله، الحمد لله.

وعلمت أن عمي تشاجر مع عمتي فتركت بيت عمي وغادرت إلى بيت أهلها. كما منع عمي ذلك المشعوذ أن يأتي إلى بلادنا.

وانتشرت القصة، ولم يمضِ إلا أسابيع حتى علم زوج سمية بما حدث وعاد من السعودية وحينها عدتُ إلى بيتنا. ثم بقيت أنتظر أن يسافر، وأن تأتي تلك المرأة بالمانجو والرمان لتأخذني إلى سمية لكنها لم تأتِ، ولم يعد زوج سمية إلى الغربة كما نصحته جدتي.

الكذاب والنصاب!

أثناء عملي بالتدريس في قرية أكمة العقاب، وجدت قبةً مُهدَّمةً. فسألت عن قصتها فرووا لي قصة "قطيش وقحطان". وهي قصة عجيبة جدًا، فضحكت حينها حتى كدت أستلقي، وما زلت كلما تذكرتها ضحكت!

فهذه القصة من أعجب ما سمعت في حياتي .. لا تستعجلوا سأروي لكم القصة:

في صباح أحد الأيام مطلع الثمانينيات، وجد أهالي أكمة العقاب رجلين بملابس بيضاء وعمامتين كبيرتين بجوار قبر، وقد دفنا فيه ميتهما. **فسألوهما:**

– من أنتم؟! ومن هذا الميت؟!

فأجابوا بكل خشوع ووقار:

– نحن كنا من المنقطعين للعبادة في الحرم المكي الشريف بمكة. وقد رأى سيدنا الولي الصالح إبراهيم المبارك في منامه رسول الله ﷺ، فأمره أن يعود إلى اليمن ويأتي منطقة أكمة العقاب ويبني فيها مسجدًا ويدعو إلى الله فيها. فتوجه من فوره إلى هنا، وظل طول طريقه منذ أسابيع يصوم النهار ويقوم الليل، ويسير بنور الله حتى وصل البارحة، وحين وصل هنا مات فصلينا عليه ودفناه.

وحينها ترحم أهالي القرية على الرجل الصالح، وبنوا الجامع، ثم بنوا

للولي قبةً كبيرةً وبجوارها بيتًا للأولياء الصالحين، ونشط قطيش في الدعوة لجمع النذور والهبات لمقام الولي إبراهيم، فيما نشط قحطان في استقبال هذه الأموال والهدايا.

وكانا يقتسمان هذه الأموال، ويغيب أحدهم لأيام في نهاية كل شهر والآخر ينوبه. وقد تدفقت عليهم الأموال والعسل والسمن والمواشي والدجاج من كل فقير محتاج، ومن الذين يلتمسون البركة والعلاج من كل مرض عضال، ومن الراغبين في إنجاب الأطفال.

وظل هذا هو الحال لسنوات، تتدفق أنهار الجهل والخرافة لتصب في جيوبهما حتى اختلفا على قسمة الأموال. وأدرك قطيش أن قحطان يخدعه ويسرق الأموال ولا يعطيه إلا الفتات. وحينها فكَّر ثم قدر، **ثم قرر**:

- عليَّ وعلى أعدائي.

سعى قطيش بحيلة غريبة أدت إلى نهاية غريبة لا تخطر لأحد على بال! .. ذهب قطيش إلى الشيخ أحمد النعماني، وهو من المشايخ الكبار في المنطقة، **وقال له**:

- الشيخ قحطان رأى والدك في المنام؛ وأوصاه بأن يبلغك السلام، وشيئًا آخر هامًا.

جحظت عينا الشيخ، وظهرت فرحته، **ثم سأله**:

- لماذا لا يأتي معك ويخبرني وله ما طلب؟!

أسقط في يد قطيش، لكنه تدارك أمره، **وقال:**

– الشيخ قحطان لا يستطيع ترك المسجد والمقام والناس تأتي إليه، فلو جئت للمسجد الذي أمر الرسول ﷺ ببنائه لنلت البركة وعرفت الوصية.

حينها قرر الشيخ زيارة المقام .. أسرع قطيش عائدًا إلى قحطان، وأخبره بأنه قد دبر له "صفقةً كبيرةً"، وأن الشيخ النعماني لو انبهر بحديثه وصدقه فسيمنحه الكثير من الأموال، وسيصبح حديث الناس في كل مكان.

قال قحطان:

– لكني لا أعرف شيئًا عن هذا الشيخ والموعد غدًا. فكيف العمل؟!

ضرب قطيش على صدره قائلًا:

– أنا عملت حسابي وجئت لك بأهم المعلومات.

وأضاف:

– أنا تأكدت أن أم الشيخ قد توفيت، وأنها كانت شريرة جدًا تسرق أحذية النساء وتخفيها، وقد ضربت حمارًا حتى مات.

فإذا جاء الشيخ قل له أمام كل الناس:

– رأيت أمك في المنام بطنها تلتهب من الحرام، تأكل أحذية النساء وتحمل الحمار على ظهرها. وحينها سينبهر الشيخ وتلجمه المفاجأة .. فقلة قليلة جدًا من يعلمون أن أمه كانت تسرق أحذية النساء وقد قتلت الحمار.

حك قحطان رأسه وسأله:

– هل أنت متأكد مما تقول؟

أجابه قطيش بلهجة الواثق:

– ببب.

في اليوم التالي، جاء الشيخ أحمد وخلفه العشرات من المسلحين والمرافقين. صعدوا إلى المقام، وهم يرددون الأهازيج حتى وصلوا. فصلوا في المسجد ثم دعوا لصاحب المقام، وقد استقبلهم شيخ المنطقة وقحطان وجموع الناس في خيام نُصبت بجوار المقام ومدت الموائد، فأكل الناس ومضغوا القات وتجمع الأطفال كأنهم في مهرجان!

بعد العصر، التفت الشيخ النعماني لقحطان، **وقال:**

– بشر يا فقي كيف رأيت الوالد في المنام وكيف الحال؟ وماذا قال؟

تعجب قحطان من سؤال الشيخ عن والده **فقال:**

– ما رأيت الوالد لكني رأيت الوالدة أمك.

تعجب الشيخ، واستغرب من حديثه. فأمه لا تزال على قيد الحياة، والشيخ يحبها جدًا ويكاد يقدسها. **قال الشيخ:**

– وكيف رأيت الوالدة؟

قال:

– لو أكلمك لوحدك أفضل.

صمم الشيخ على أن يحدثه أمام الناس. وحينها استعد قحطان لإلقاء المفاجأة التي ستبهر الشيخ فقال:

– رأيتها بحالة فظيعة وهيئة شنيعة تستعر في بطنها النار ليل نهار، تأكل أحذية النسوان..

قاطعه الشيخ:

– إيش قلت؟!

– تأكل أحذية النسوان والحمار فوقها.

وهنا ضج الجميع بالضحك. وصار وجه الشيخ فحمةً سوداء، وغلى الدم في عروقه. فهجم على الفقيه النصاب هجوم الوباء على قرية لا طبيب فيها قائلًا:

– أنا أمي تأكل أحذية النسوان والحمار راكب عليها يا سفيه؟!

أراد قحطان الفرار، فأمسكه عسكر الشيخ وقربوه إليه، فأشبعه ضربًا وهو يقول:

– أمي بالبيت معززة مكرمة يا سفيه.

انكبَّ قحطان يقبل قدمي الشيخ، ويطلب بجاه أمه أن يتركه، فتركه وهو في الرمق الأخير. واعترف قحطان أمام الجميع بأنه كذاب نصاب خدع الناس ونهبهم. وفر قطيش وقحطان خلفه يجري حافيًا يتوعده، والأطفال يرشقونهم بالحجارة.

وهدم عساكر الشيخ القبة ونبشوا القبر؛ فكانت المفاجأة الكبرى التي لا تخطر على بال، لقد وجدوا فيه جثة حمار!

عجائب في أكمة العقاب!

بعد أن أنهيت الثانوية العامة في نهاية التسعينيات، كان من المقرر أن أؤدي الخدمة العسكرية لمدة عام، ولكن لأن معدلي مرتفع فوق الـ 80٪؛ فقد تم تحويلي لأداء الخدمة كمدرس. **همس لي أحد الزملاء:**

– هات خمسة آلاف ريال وأخرج لك إعفاءً من الخدمة.

وكان يومها هذا المبلغ كبيرًا فرفضت، ولو أعلم بما سيحدث لي لدفعت عشرة ألف ريال مقابل الإعفاء.

أرسلتني الإدارة التعليمية بالعدين إلى مدرسة ريفية بمنطقة نائية وصلتها ذات مساء. سألتهم عن المدرسة، فدلوني عليها. وحين وصلت إليها اجتاحني الحزن؛ فقد كانت عبارة عن خرابة، عدة غرف طويلة، بلا أبواب ولا نوافذ ولا كراسي ولا شيء يمت للتعليم بصلة!

سألت الأطفال الذين أوصلوني عن بيوت المدرسين، فأشاروا إلى جبل مرتفع جدًا يحتاج صعوده إلى مروحية هيلوكوبتر! .. لقد كنت في غاية التعب والإرهاق بعد سفر طويل، ولذا فقد سألتهم عن بيت الشيخ .. ولحسن حظي كان قريبًا فذهبت إليه يحيط بي مجموعة من الأطفال الذين رأوا في شيء غريب وصل قريتهم.

اقتحمت مقيل الشيخ، وأخبرته أنني المدرس الجديد، فهز رأسه، ولم يهتم بأمري كثيرًا. لكنني حين أخبرته باسمي هبَّ واقفًا وصافحني من جديد، ثم أجلسني بجواره، وجعل يترحم على والدي الذي كان صديقه، وجعل يروي لي بعض المواقف والقصص التي عاشها معه. فشعرت بارتياح؛ فقد وصلت إلى صديق الوالد.

في اليوم التالي، تعرفت على المدرسين من أبناء المنطقة، وذهبنا جميعًا للغداء والمقيل بمنزل الشيخ الذي حدثهم عن والدي -الله يرحمه-. وأعاد عليهم القصص التي حدثني بها. **في المقيل قال الشيخ:**

- أمس رأيت في المنام أن لدي غرفة مليئة بالسنابل الخضراء المكتنزة بالحب الناضج وأريد تفسيرها.

وحين صمتوا جميعًا، قلت:

- هذا رزق كثير يا شيخ، ستناله في المستقبل القريب إن شاء الله.

استبشر الشيخ، ولم تمر إلا عدة أيام، حتى جاءته ثمار مزارعه في وادي عنة. فأيقن الشيخ أن تفسيري للأحلام يأتي كفلق الصبح. جهَّزَ الشيخ أحد غرف الخرابة -قصدي المدرسة- سكنًا لي. ولأني قد أحرجت من الذهاب كل يوم لمنزل الشيخ للأكل والمقيل فقد استأذنته أن أظل بالسكن حتى أحضِّر الدروس وأقرأ بهدوء. فوافق وكان يرسل لي الطعام والقات وكل ما يلزمني.

في أول ليلة في السكن، جاءني أحد الشباب وعرفني بنفسه، وطلب مني أن

أعبر له رؤياه؛ فقد رأى أنه قد أرتدى حلة خضراء جديدة، **سألته:**

– هل أنت متزوج؟

– لا.

– ستتزوج إن شاء الله قريبًا .. فلا تفسير للباس العازب إلا الزواج .. والله تعالى يقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

ولشدة فرحته قبَّلني في رأسي قائلًا:

– والله إنك أفرحتني فرحة العمر.

ثم رمى لي برزمة نقود، ومضى فلحقته أناديه:

– خذ فلوسك لو سمحت.

لكنه أقسم ألَّا يأخذها قائلًا:

– اعتبرها تبرعًا للمدرسة.

ولم تمضِ إلا أسابيع حتى خطب الشاب وتزوج. واشتهرتُ في المنطقة، وتوافد عليَّ الناس وكل من له حلم رآه فسرته له. وتحول سكني وبقية فصول المدرس إلى مقيل يغصُّ بالعشرات، وحينها أدركت أنني سأخسر الشيخ إنْ لم يتحول حبه لي إلى عداوة. فعدت إلى مقيل الشيخ، ومن معه حلم يكتبه بورقه وأرد عليه كتابة.

صحوت في ذلك الصباح الباكر على طرقات عنيفة على بابي. فنهضت

مذعورًا وفتحت وأنا أفرك عيوني، لأجد جدتي أمامي. كانت عجوزًا تشبهها تمامًا تقف متقطعة الأنفاس، **وتسألني**:

– أين الولي؟

قلت مازحًا:

– الولي مش موجود.

– أين الأستاذ؟

عدتُ إلى الداخل، وأخرجت لها الفراش لتجلس عليه. بعد أن ارتاحت وشربت الماء والقهوة **قالت**:

– بنتي ستلد خلال أيام، وأريدك أن تختار للمولود اسمًا من الأسماء المباركة.

وأضافت:

– اسم يكون فيه السعد والرزق الكثير.

دُهشت من طلبها، **وقلت**:

– يا والدة أنا مدرس، ولست من الأولياء والصالحين المباركين.

رفعت عصاها، وأشارت إلى جبل بعيد:

– جئت إليك من قرية الغربي .. مشيت ساعتين وأنا منذ عشر سنوات ما خرجت من البيت.

وفُوجئت بها تهجم عليَّ وتقبل يديَّ، ثم تهوي لتقبل قدميَّ. فأمسكت بها قائلًا:

– إذا كان ولد فهو عبد الغني، وإذا كانت أنثى فهي سمية.

– سمية لا، بنت ابني سمية وخبيثة مثل أمها.

– أسماء وعلى بركة الله.

ناولتني علبة سمن وأخرى عسلًا. فأعدتهما إليها فحلفت الأيمان المُغلَّظة أنهما لي حتى تحل البركة على النحل والبقر!

ومضت أموري وأنا في سعادة ونعيم كولي مُبجَّل. حتى جاءني الشيخ ذات ليلة:

– بنتي سنزوجها الخميس القادم..

قاطعته:

– مبارك عليكم العرس..

– متى نخرجها؟

– كيف؟

– متى نخرجها يوم عرسها؟

– متى ما أردتم.

– ما هو الوقت المبارك؟ ساعة الرحمن، الساعة المباركة؟

– بعد العشاء بإذن الله. واقرأوا المعوذتين والفاتحة، وادعوا لها بالعافية قصدي بالبركة.

تهلل وجه الشيخ ومضى. لم تمضِ إلا أسابيع حتى جاءني الشيخ، وهو يكاد يتميز من الغيظ، ووجهه أسود كالفحمة **قائلًا**:

– تحقق ما كنت خائفًا منه حصل.

اجتاحني الخوف فسألته:

– إيش اللي حصل كفى الله الشر؟

– العروسان تصايحا.

كدت أنفجر ضاحكًا. لكنني كتمت ضحكتي **قائلًا**:

– عادي الخلافات تحصل بين الأزواج...

قاطعني:

– يعلم الله من عمل لهما عكوسًا.

– كيف؟

– هناك من عمل لهما عملًا ليفرق بينهما.

– أنا رأيي يا شيخ تجلس معهما جلسةً وديةً، وتحل الخلافات وانتهت المشكلة.

– لا لا .. الحل بيدك أنت يا أستاذ.

سرحت بخيالي إلى بعيد، وتخيلت أن العريس قد طلق زوجته ثلاث مرات، وعليَّ أن أتزوجها كمحلل، لا تفسير لكلامه إلا هذا. **لم تطل حيرتي فقد قال الشيخ:**

– تعمل لهم كتابًا مضادًا للعكوس، يجمع القلوب على المحبة ولك ما طلبت.

– يا شيخ أنت تدرك أنني لست من المشعوذين ولا أعمل هذه الأشياء.

– لأجل خاطري أنا، وسرك في بير .. البنت اسمها أنيسة وأمها سعيدة والولد حسين وأمه سلامة.

ثم تركني ومضى. وبقيت تلك الليلة أضرب أخماسًا في أسداس والحيرة تكاد تقتلني. وفي الصباح نسيت الأمر وانشغلنا بالتدريس. بعد العشاء عاد إليَّ الشيخ فأسقط في يدي، ولم أدرِ ماذا أقول له؟! .. حاولت أوضح له وأفهمه وأنصحه لكنه صمم ورأسه وألف سيف أن أعمل لهم كتاب المحبة، وإلا فإنني أعاديه ولا أرعى له الجميل والمعروف.

وفكرت كثيرًا وكدت أقنع نفسي أنني مضطر، لكنني قبيل الفجر حزمت أمتعتي، وغادرت إلى العدين طالبًا نقلي إلى مدرسة أخرى بعيدة. وأنا أسأل الله ألَّا أجد فيها من يعرفني أو يعرف والدي وله بنت ستتزوج واسمها أنيسة!

البقبقة للولي والفائدة للمدرسين!

بس اجتاحني شعور عارم بالحزن، حين اعتذر زميلي في السكن الأستاذ حسن عن خروجي معهم في نزهتهم المسائية، **قائلًا:**

– لو سمحت يا أستاذ محمد أنت ستبقى بالسكن حتى نعود من جولة المشي اليومية التي تعودنا عليها.

وأضاف:

– لا ينبغي أن نترك السكن بلا أحد؛ فالاحتياط واجب.

كنت قد لبست وتجهَّزت مثلهم. لكن من الواضح أنهم لا يريدونني أن أخرج معهم! .. ابتسمت وتظاهرت أمامهم أن الأمر عادي جدًا، لكنني في الحقيقة كنت أغلي من الغيظ الذي يحرق قلبي. فتحت الراديو ثم أغلقته، حاولت القراءة فلم أستطع، بقيت أذرع المكان جيئةً وذهابًا، وأضرب كفًا بكف، وأفكر فيما يحدث.

لقد تزايدت شكوكي حول خروجهم اليومي؛ فمنذ أن وصلت إلى هذه القرية للتدريس وشاركتهم السكن، وهم يخرجون كل مساء بعد العصر، ويعودون قبيل المغرب.

فور عودتهم يبدأون بإخراج رزم صغيرة من النقود، ويرتبونها ويعدونها، ثم

يفرغون أكياسهم المليئة بعلب السمن والعسل والعطور، يفرغون الأشياء في حقائبهم ويغلقون عليها، وفي وجوههم ابتسامة رضى؛ بينما أرقب الموقف بصمت، ولا أفهم شيئًا مما يحدث!

يبدو أنهم يقومون بزيارات إلى منازل المواطنين الذين يقدمون لهم الهدايا بكل كرم، ولا يريدون خروجي معهم ومشاركتهم. وحاصرتني أسئلة أبحث لها عن إجابة:

من الذي يعطيهم هذه الهدايا والنقود كل يوم؟!

لماذا هذه الهدايا هي نفسها كل يوم؟!

هل يذهبون كل يوم إلى قرية مختلفة، ويطلبون هذه الأشياء بشكل أو بآخر؟!

وإذا كانوا يعطونهم السمن والعسل والعطور؛ فلماذا يعطونهم النقود؟!

في يوم الخميس آخر الشهر، سافر الأستاذ حسن؛ ليزور قريته وليأتي برواتبنا من المركز التعليمي. فأحسست بالارتياح حين بقي معي الأستاذ إبراهيم، وقلت في نفسي: فرصتي، سأعرف الحقيقة..

بعد العصر، تجهزت لأخرج معه؛ فإذا به يكرر علي نفس ما قاله حسن:

- أنت يا أستاذ محمد يجب أن تبقى في السكن.

عجيييب!

ونحن نتناول العشاء، سألته فجأةً:

– أستاذ إبراهيم أين تخرجون كل يوم؟!

فُوجئ بسؤالي، فتوقف عن الأكل وارتبك، ثم تلفت حوله **قائلًا:**

– سأقول لك. لكن هذا سر أرجو أن يظل بيني وبينك ولا يعرفه الأستاذ حسن.

– قل، وسرك في بير.

– نحن نذهب لنعطي دروس تقوية لبعض الطلاب، وأهاليهم يعطوننا هدايا مقابل الدروس الخصوصية.

– كل يوم هدايا؟!

– لديهم مواشٍ كثيرة ومناحل عسل، وهم كرام ونحن لم نقصر مع أولادهم.

هززت رأسي متظاهرًا بأنني اقتنعت. لكنني لم أقتنع بما قاله، ولم تهدأ شكوكي وتسكن أسئلتي .. مؤكد هناك سر، ولا بُد أن أعرفه لتستريح نفسي. أخرجت أحد الكتب لأحضِّر منه خطبة الجمعة. كتاب يحذر من الشرك والتبرك بالقبور والقباب والاستغاثة بالأولياء الموتى.

وحين رأى الأستاذ إبراهيم عنوان الكتاب، توقف عن شرب الشاي وصاح في:

– ما هذا يا أستاذ محمد؟

– كتاب سأجهز منه خطبة الجمعة.

– انتبه أن تسبب لنا فتنة في هذه القرية، وتفعل كما فعل الأستاذ عبدالسلام.

– يا لطيف ماذا فعل؟!

– ذهب وخطب الجمعة عن الأولياء والصالحين المباركين وأن الاستغاثة بهم شرك لا يجوز وحذرهم من التبرك بالأولياء. والناس هنا صوفية يقدسون الأولياء فثاروا عليه، وكادت تنشب معركة داخل المسجد.

وأضاف:

– المهم تدخل العقلاء وهدأت الفتنة برحيله من القرية وجئت أنت للتدريس مكانه.

قلت له، وقد عدت للتفكير:

– لكن لا يجوز السكوت على ما يحدث.

هزَّ رأسه موافقًا، ثم اقترح عليَّ أن أوعِّي الناس، وأنصحهم بشكل تدريجي انفرادي، وبأسلوب هادئ، بعد أن يعرفوني ويطمئنون إلي.

– فعلًا معه حق. قلت لنفسي.

بعد أيام، حين عاد الأستاذ حسن اختفى ذلك الكتاب تمامًا. وأقنعت نفسي بأن لديهم عقدة من الحديث في الموضوع، ويخافون أن أثير مشكلةً، كما فعل زميلنا السابق؛ ولذا أخفوا الكتاب.

وعـادوا لخـروجهم المسـائي والعـودة بالهـدايا .. وكـدت أقـول لهـم: أخرجوني معكم والهدايا لكم.

لقد مللت من بقائي وحدي في السكن. لكنني تماسكت فلم يبقَ حتى منتصف العام الدراسي إلا أيام قلائل، وسأذهب إلى قريتي وأغير جو لمدة أسبوعين.

في بداية النصف الثاني من العام الدراسي، عاد إليَّ الملل، وأنا أبقى وحيدًا في السكن. فقررت أن أخرج للنزهة وحدي، سأذهب إلى أي مكان حتى إن صعدت تلك التلال ورأيت القرى التي خلفها، المهم ألا أبقى وحيدًا.

خرجت أتمشى، صعدت بعض التلال أمشي ولا أدري إلى أين سأصل؟! .. رأيت رعاة بأغنامهم، فتيات يقطعن بعض الأشجار ويجمعن حزم الحطب، تهامسن وهن ينظرن نحوي، مضيت بعيدًا غير عابئ بهمساتهن.

الشمس بدأت تنحني للمغيب وتبرد أشعتها، وأنا أصعد أعلى تلة كنت أراها من المدرسة. العرق يتصبب مني ونسمات هواء باردة تداعب وجهي والقرى تنبسط أمام نظري حتى الأفق البعيد.

حين وصلت القمة شعرت بسعادة غامرة؛ كأنني مُغامِر وصل أعلى قمة إيفرست، لقد انتصرت على العجز وهزمت الملل، أنظر في كل الاتجاهات فأجد قرى ومزارع وحياة من كل لون.

نظرت إلى تلك الناحية؛ حيث تبدو قباب الولي خير الدين، فلم أصدق ما أرى!

لقد وجدت الأستاذ حسن والأستاذ إبراهيم يجلسان بجوارها، وتساءلت:

– لماذا لم يذهبا لأداء الدروس الخصوصية؟!

– يبدو أنهما ملا فقررا التنزه هذا اليوم.

بقيت لنصف ساعة أنظر وأتأمل ثم عدت إلى السكن. المفاجأة أنهم عادوا بأكياسهم مليئة بالهدايا ككل مرة!

عجييب!

لم أسألهم .. في مساء اليوم التالي عدت للتنزه. وما إن وصلت إلى قمة ذلك التل حتى فوجئت بزميلي يجلسان بجوار قباب خير الدين! .. وثارت شكوكي من جديد، وعادت الأسئلة تحاصرني باحثة عن إجابة.

هل أذهب إليهما وأرى ما يفعلان، أم أتجاهل الأمر حفاظًا على مشاعرهما؟! .. وتذكرت تحذيرهما لي من تحذير الناس من الشرك والتبرك بالقبور والقباب، واختفاء الكتاب بشكل غامض؛ فزاد قلقي وتوتري.

في اليوم الثالث تتبعتهما على مهل حتى وصلا القباب. وهناك هالني ما رأيت وصدمني، لقد أخرجا أكياسهم وبدأا يمدان أياديهم من نوافذ القباب إلى الداخل ويخرجون تلك الأشياء، علب سمن وعسل وشموع ونقود!

أخيرًا .. لقد وجدت الإجابة التي بحثت عنها طويلا!

بعد أسابيع ذهبت إلى قريتي لحضور عرس أخي. وحين عدت فُوجئت

بالسكن، وقد تم إغلاقه. فسألت عن المدرسين فأخبروني بأنهما قد اختلفا على الأشياء التي يأخذانها من تلك القباب وتشاجرا، ثم تطور شجارهما إلى عراك، وكادا يقتتلان، فحولهما المدير إلى المركز التعليمي وطلب نقلهما من المدرسة بعد أن صارت فضيحتهما حديث الناس في القرية والقرى المجاورة.

سرقة باسم الولي!

تـنفَّس عبـده سـعيد الصـعداء ومسـح عرقـه، فقـد أكمـل مـع أولاده حفـر السـرداب مـن منزلـه إلـى قبـة الـولي. ورغـم خلـو المكـان مـن السـكان في رأس الجبل، والمنزل الوحيد المجاور هو منزله، إلا أنه احتاط كثيراً؛ فمنذ أشهر وهو لا يبدأ الحفر إلا أثناء الليـل، ووجَّـه أولاده بالكتمـان الشـديد، ووعـدهم بحصـة مجزية من أموال النذور التي ستأتي للولي في منتصف شعبان. لـم يبـقَ إلا أسـبوع ويأتي الناس من كل حدب وصوب لزيارة ضريح الولي.

قبيل منتصـف شـعبان بأيـام، دخـل مـع أولاده مـن السـرداب إلـى الضـريح، وقاموا بتجديد الفراش، ودهنوا الحائط من الداخل، وسكبوا الكثير من العطور.

وفي ليلة النصف من شعبان، فوجئ أهالي القرى بأنوار خضراء عجيبة تبـزغ من الضريح؛ كانت المصابيح الكهربائية التي جاء بها عبده سعيد من المدينة قد أدهشت أهالي القرى المجاورة الذين لـم يروا الكهرباء من قبل!

تسمَّر الناس في أسطح منازلهم يهللـون ويكبِّـرون وهـم يشـاهدون كرامـات الولي شجاع الدين! .. الضريح كبير ومغلق فيه أربـع نوافـذ ضـيقة بالكـاد تكفـي لرؤية ما بداخله؛ فمن أين جاءت الأنوار؟!

تساءل الناس ثم أجابوا على أنفسهم:

– لا شك أنها كرامات إلهية!

قبيل بزوغ الشمس، أعاد عبده سعيد القناديل والبطارية إلى منزله وأخفاها عن العيون.

أرسل أولاده إلى الناس يُحدِّثونهم عن الكرامات العجيبة التي رأوها، ويحثونهم على حمل النذور والخراف للولي، تنقلوا بين القرى وهم يقسمون أنهم رأوا ملائكةً بثيابٍ بيضٍ قد هبطت من السماء ثم تجمعت حول الضريح، بعدها بزغت الأنوار الخضراء، وسمعوا تلاوة القرآن!

وبينما كان يُشرف على تجهيز الطعام وحزم القات للزوار؛ كان المئات من سكان القرى قد بدأوا يصعدون الجبل. استقبلهم بابتسامة عريضة وقد ركز المشقر في عمامته البيضاء، يصافح الناس ويوجههم للسلام على الولي وطلب الحاجات، بينما يُسلِّم الخراف وقوارير السمن والعسل لأولاده.

من أطل من نافذة الضريح صرخ وكبَّر وهلَّل وتساءل:

– من الذي فرش الضريح وكيف دخل؟! من الذي دهن الجدران؟! من الذي عطَّره بهذا العطر؟!

أيقنوا أن رائحة العطر التي فاحت ما هي إلا من الجنة، وقد جاءت بها الملائكة، فتمسح الناس بالضريح وهم يهللون ويكبرون ويبكون، طلبوا حاجتهم ورموا بكل نقودهم إلى الداخل!

بعد الغداء الذي أعده عبده سعيد، دعاهم جميعاً ليشاهدوا المعجزة

الكبرى التي ستحدث في الضريح أمام أعينهم. أرسل أولاده من السرداب بالمباخر، وما هي إلا لحظات حتى فاحت روائح بخورٍ جديدة من تحت الفراش، وحينها دوَّت في أرجاء الجبل التكبيرات، وبدأ الناس بالذكر والنحيب!

عاد الناس إلى قراهم يتحدثون عن كرامات الولي الذي فاحت من قبته عطور لم يشموا مثلها، رووا لمن لم يحضر كيف رأوا لأول مرة الفراش الذي جاءت به الملائكة، والعطر السماوي الذي لا مثيل له!

بعد أن انفضَّ المولد ورحل الناس جمع عبده سعيد وأولاده الحصيلة فكانت:

320 ريالاً فضيًا فرانصيًا.

270 ريالاً جمهوريًا من التي طُبعت هذا العام.

281 خروفًا.

180 علبة عسل.

244 علبة سمن.

نفث عبده سعيد دخان المداعة "النارجيلة" في الهواء بسعادة بالغة ثم مدد رجليه، أعطى كل ولد من أولاده عشرة ريالات فرانصية، ثم وضع بقية النقود في الخزنة، أدخل السمن والعسل غرفته الخاصة وأغلقها بإحكام.

في ليلة 27 من رمضان، شاهد الناس الأنوار الخضراء العجيبة من الضريح وهي تبزغ من جديد، هللوا وكبّروا لهذه الكرامة. في اليوم التالي لم يرسل عبده سعيد أحداً إلى القرى، تركهم يتساءلون ويجيبون على أنفسهم.

بعد عيد الفطر بأيام بدأ تحركاته. **صار يجوب القرى ويحدث الناس:**

- صلوا على رسول الله.

- اللهم صلِّ وسلم عليه..

في ليلة 27 رمضان، في ليلة القدر رأيت في المنام الولي شجاع الدين، وجهه مشرق كأنه قمر منتصف شعبان، اقترب مني حتى اقشعر بدني، كان عملاقاً أسطورياً وكنت بجواره صغيراً مثل العصفور بجوار فيل، حملني على يده الشريفة حتى ارتفعت في السماء، ثم أوصاني بإيصال هذه الرسالة إليكم.

قال الولي شجاع الدين -قدس الله سرَّه وزادنا من بركاته ونفحاته-، وبعد أن سلَّم عليكم وذكر كل واحد منكم باسمه وصفته، **قاطعه مسعد حمود بائع القات:**

- حتى أنا ذكرنا الولي؟!

- حتى أنت ذكرك.

أجهش مسعد حمود بالبكاء بينما **واصل عبده سعيد حديثه:**

قال الولي شجاع الدين: على كل مالك لأربع قطع أرض إيقاف القطعة

الرابعة وقفـًا للضريح وزواره.

قاطعه الفقيه علي محمود:

– والذي معه أربع قطع في كل وادٍ؟

– يجعل الرابعة وقفـًا للولي في كل وادٍ.

هـذه رسـالة الـولي، ومـن أطاعـه كـان رفيقـه بالجنـة ومـن عصـاه يتحمـل العواقب، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

لم تمضِ سوى عدة أيام حتى كان تحت يد عبده سعيد أكثر من 120 قطعة أرض أوقفها أصحابها لضريح الولي شجاع الدين. ظل عبده سعيد يستثمر القبة التي أقامها أجداده، يجني السمن والعسل والنقود حتى جمع ثروات طائلة، ظل الملك المتوج في تلك القرى حتى انتشر العلم وتوقف الناس عـن الصعود إلى الجبل!

مات عبده سعيد قبل سنوات، لكـن نجلـه أخـبرني خـلال زيـارتي للقريـة أنـه حين يشتهي اللحم والعسل والسمن يطلق الأنوار في قبة الولي، وفي صباح اليوم التالي يجد ما لا يقل عن عشرة من الخراف قد رُبطت بجوار الضريح، كما يجد في داخل الضريح قوارير من السمن والعسل، والكثير مـن رزم النقـود، يـأتي بهـا أصحابها في ظلام الليل ويمضون دون أن يراهم أحد!

قال ضاحكـًا:

– ما يزال لدينا الكثير من المغفلين.

نصحته حينها وحذرته، فلم يستمع.

قبل أيام علمت بأنه قد تردى بسيارته من منحدر شاهق وظل بالمستشفى لأسابيع. لقد صرف كل المبالغ التي جناها باسم الولي.

بعد أن شاهد الموت بعينيه تاب إلى الله، وأعاد للناس أرضهم، وهدم قبة الولي وضريحه في الليل مثلما كان يجدد فراشه ويضيء الأنوار بالليل.

الأرض وقرن الثور!

من القصص التي عشتها ولا أنساها أبدًا ما حييت؛ أنني في طفولتي عشت أيامًا وليالي سوداء من الرعب كلما أتذكرها أضحك. وهي قصة عجيبة غريبة سأرويها لكم.

في تلك الليلة، انتصف الليل ونام الجميع بينما خاصم النوم جفنيّ. لقد هجم عليّ شعور عارم بالخوف منذ أن علمت بتلك الحقيقة المرعبة، ولو لم أعلم لكنت الآن أغطُّ في نوم عميق مثلهم. ولكني أتقلب في فراشي من الخوف، أنفاس النائمين من حولي تنبعث رتيبة. ومن بين شقوق الجدران أسمع صرير الجدجد ونباح الكلاب في طرقات القرية. أحسدهم؛ ينامون بعمق واطمئنان، فهم لا يعلمون مثلي بالكارثة التي تنتظر الجميع.

قبيل النوم، فتحت ذلك الكتاب الأصفر القديم، وقرأت فيه أن الأرض معلقة على قرن ثور فإذا تحركت شعرة منه حدثت هزة في أي منطقة بالعالم، لقد شحب وجهي وأصفر لوني وصرت ارتعد من الخوف.

قلت لنفسي: الهزات ليست كارثة كبرى .. الكارثة أن يتحرك الثور فتسقط الكرة الأرضية من قرنه ونذهب إلى الهاوية!

وداهمتني تساؤلات مخيفة:

ماذا لو تحرك الثور الآن؟!

حتى متى سيظل هذا الثور واقفًا؟!

وإذا جاع الثور وتحرك خسف ببيوتنا.

وأكيد إذا صبر الثور طيلة الليل فسيتحرك في الصباح!

وظلت هذه التساؤلات المخيفة تخنقني وتحاصرني، مثل الكوابيس المرعبة؛ فزادت مخاوفي. لقد أيقنت في تلك الليلة بقرب نهاية العالم؛ فالثور سيتحرك في الصباح، والكرة الأرضة المعلقة ستسقط وستحدث الكارثة.

كنت أطمح في المستقبل أن أشتري درَّاجةً جديدةً، لكن الثور لن يصبر علينا. فأنا أعرف الثور الذي في حوش بيتنا لا يكف عن الحركة والجعير خاصةً إذا مرَّ وقت طويل ولم يأكل أو يشرب، وأحيانًا يقفز من فوق الحوش ولا يقف إلا بالوادي، يهجم على الزرع ويأكل حتى يشبع .. وأكيد هذا الثور الذي يحمل الأرض سيكون مثله.

وقبيل الفجر لا أدري كيف تمكن مني النوم؟! .. صحوت على صوت أمي تنادي الجميع بأن الفطور جاهز. ووجدت إخواني قد لبسوا ثيابهم ويستعدون للإفطار والذهاب إلى المدرسة، لكنني رفضت الأكل والذهاب إلى المدرسة **وحين سألوني:**

- لماذا لا تفطر أو تذهب إلى المدرسة؟!

فكـرت أن أكـذب علـيهم، لكننـي قـررت أن أعلمهـم بالحقيقـة وأفجِّـر المفاجأة، وليكن ما يكون، ابتلعت ريقي **وقلت:**

– لأن الثور سيتحرك والكرة الأرضية ستسقط من قرنه.

نظروا إليَّ بدهشة؛ وكأنهم لم يفهموا شيئًا مما قلت. **ولذا قررت أن أوضح لهم الأمر أكثر:**

– أصلًا الكرة الأرضية معلقة على قرن ثور –كما قرأت في الكتاب–. وأنا لدي إحساس أن الثور سيتحرك بعد قليل والعالم سيسقط، ورايحين كلنا في ألف داهية.

أخبرتهم بتلك الخرافة المرعبة وأجهشت بالبكاء فضجوا بالضحك .. أبكي وهم يضحكون! .. توقفوا عن الضحك **وسألوني:**

– من ضحك عليك وقال هذا الكلام؟!

– قرأته في ذلك الكتاب الأصفر القديم.

قال أخي الأكبر:

– هذا الكتاب كله كذب وخرافات، لا تصدق.

فرحت بما قال، وبدأ الهم ينزاح عن كاهلي. لكني لم أقتنع تمامًا، وحين رأى شكي اقترح عليَّ أن أسأل الأستاذ في المدرسة لأتأكد منه. فأخبرت المدرس بما قرأته في الكتاب. فضحك وضحك جميع الطلاب في الفصل. **قال المدرس:**

– الأرض كُرَوِّيَّة وتدور بسرعة كبيرة جدًا، تدور حول نفسها دورة كاملة كل 24 ساعة.

قال المدرس هذه الحقيقة الكبيرة التي لا يستوعبها طفل مثلي، دون أن يشرح لي ويوضح:

– كيف الأرض كورة، وتدور بسرعة بينما نراها ساكنة؟! .. كيف لا نشعر بهذا الدوران السريع؟!

لقد فتح لي بابًا جديدًا من التساؤلات المُقلقة والهواجس المخيفة. وفكرت أن أسأله إلا أنني خشيت أن يضحكوا علي من جديد. **وعادت تحاصرني التساؤلات المخيفة التي أطارت نومي:**

– طيب لو الأرض معلقة وتدور بسرعة كبيرة جدًا مش ممكن تسقط من المعلق؟ .. مش كانت فوق قرن الثور أحسن من المعلقة بالجو تدور بسرعة كبيرة جدًا. خراب بيوتنا لو سقطت.

حين أكملنا الدراسة وذهبنا في العطلة الصيفية لندرس القرآن الكريم عند الفقيه. **سألته ذات مرة:**

– يا سيدنا صحيح أن الأرض كورة معلقة وتجري؟

– من قال لك إن الأرض كورة؟! زعم أنها طبة يلعب بها الجهال؟!

وأضاف:

– الأرض مسطوحة مثل الفطيرة.

فتحت المدارس أبوابها من جديد، وجاء مدرس مصري جديد. **وحين عدنا للدراسة سألته:**

– يا أستاذ هي الأرض كورة ومعلقة بالهواء وتدور بسرعة؟!

فأطرق مفكرًا. ثم حك رأسه قائلًا:

– هي شكلها زي الكورة صحيح بس مش كورة، وهي معلقة بالهواء علشان ما فيش جاذبية تشقطها لتحت، ولو جت الجاذبية رحنا كلنا في داهية.

وأضاف:

– والجاذبية جاية جاية، إيه اللي أنا بقوله ده ؟ يابني خليك في كراستك .. ما تجيبليش دوشة في دماغي أنا مش ناقصك.

وأدركت أنه ما فيش أمل نرتاح في هذه الكورة، يا الثور سيتحرك، يا الكورة المعلقة تدور فتسقط، يا الجاذبية الجاية ستشقط الكورة لتحت ورايحين في داهية رايحين في داهية.

ورطة الولي!

في منتصف التسعينيات، وقعت في أول رهان كبير في حياتي، والذي تحول إلى **ورطة كبيرة لا أنساها طول عمري:**

لقد صحوت مذعورًا ذات ليلة على صوت رعد، تبعه مطر. كانت قريتنا في جدب لا يعلمه إلا الله، ولذا لم أصدق في البداية بأن المطر يهطل فعلًا، تخيلت أنني أحلم لكن تتابع أصوات الرعد والمطر والسيول التي بدأت تتدفق من أماكن عدة؛ جعلني أصدق أن ما يحدث حقيقة.

بعد أن خفَّ المطر فتحت النافذة، فرأيت بعض أضواء الفوانيس والكشافات تسير في الطرقات، لقد تحرك البعض من الفلاحين إلى حقولهم يطمئنون هل ارتوت بالماء؟ .. ومع انبلاج الضوء سارع الفلاحون إلى حقولهم ليجدوها قد مُلئت بالماء وتحولت إلى برك متجاورة؛ فاستبشروا خيرًا. وبعد أيام كان الجميع يشقون الأرض ويرمون الحبوب في حقولهم، ويرددون الأهازيج؛ كأنهم في كرنفال جماعي بهيج.

كنت مع إخواني وأولاد عمي قد صعدنا إلى مؤخرة الجرار الذي يشق الأرض فنرمي الحب فيها حتى اذا فرغت أوعيتنا قُمنا بملئها من جديد. ولم تمض أيام حتى اخضرَّت الأرض واكتست الحقول ثوبها الأخضر البديع، لكن

المطر توقف. مضت أيام ثم أسابيع ثم أشهر ولم ينزل المطر، وشح الماء في الآبار فأصيب الناس بيأس مخيف.

ضمر الورع ثم يبس، وتجمعنا في باحة المدرسة للاستسقاء، واستغربت حين لبس الناس ثيابهم مقلوبة. وأمرونا نحن الأطفال بأن نقلب ثيابنا فسارعت إلى قلب الكوت فسقطت فدرة الحلوى التي كنت أخفيها في الجيب الداخلي للكوت، وتناثرت نقودي، وهرع الأطفال يلتقطونها ويفرون وأنا أطاردهم.

جلسنا فوق الحصى بين حر الشمس، وبعد الصلاة ذبح أحدهم ثوره ووزع لحمه على الناس مجانًا. فعدنا بكيس من اللحم. وانتظر الناس المطر لكنه لم يأت! .. ومرت أسابيع أخرى ولم تنزل قطرة!

في تلك الأيام القاحلة حين كنت أنبش في خزانة الكتب. عثرت على كتاب أصفر قد تمزقت الكثير من صفحاته وهالني ما قرأته: (...وإذا توقف المطر واستحكم الجفاف وازداد القحط وأردت نزول المطر بإذن الله؛ فاكتب بالقلم اليراع على ثمرة الدباء أو اليقطين من أول سورة الواقعة إلى قوله تعالى: (**وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ**). ثم علِّقها على شجرة بحيث تصبح في مهب الريح وتهتز، وحينها سيهطل المطر بإذن الله، وإذا استمر نزوله فامحُ ما كتبت وحينها سيتوقف).

وفرحت بما قرأت كأنني قد عثرت على كنز ثمين. إنها فرصتي التاريخية لإنقاذ الوضع في القرية. أسرعت فوضعت الكتاب في النافذة وذهبت إلى الناس أبشرهم بنزول المطر غدًا، **البعض كانوا يقولون:**

– إن شاء الله. ربنا كريم.

والغريب أن أكثرهم سخروا مني وضحكوا علي. فأكدت لهم "إن موعدنا غد. واصبروا ولا تستعجلوا". فهزوا رءوسهم ضاحكين، لقد تحول الأمر إلى ما يشبه الرهان والتحدي بيني وبين الناس. وبتُّ في تلك الليلة وأنا أفكر في الأمر **وأتساءل بيني وبين نفسي:**

ماذا لو لم ينزل المطر؟!

ماذا سيقول الناس عني؟!

ستكون فضيحة بجلاجل.

ثم أعود وأطمئن نفسي: في النهاية سأخبرهم الحقيقة وأريهم الكتاب وليكن ما يكون.

بعد ظهر اليوم التالي، بحثت عن الكتاب في كل مكان فلم أجده، وحين **وجدتني أمي أبحث سألتني:**

– هل تبحث عن الأوراق الصفراء التي في النافذة؟

– أيوه أين هي؟

– أكلتها البقرة.

– إيش؟!

هُرعت إلى المطبخ والشرر يقدح من عيوني وأخذت السكين، وقد عزمت

على ذبح هذه البقرة المسعورة التي تأكل أي شيء، **لحقتني أمي تحذرني:**

– لا تَجنَّ يا محمد هي بهيمة لا تعقل.

رميت السكين وألهبت ظهر البقرة بعصا غليظة. ففرت هاربة فأتبعتها برشقة أحجار، ثم هدأت قليلًا **وقلت لنفسي:**

– طالما قد حفظت السر فما هو الداعي للكتاب؟!

كتبت على الجعفة "الدبية" من بداية سورة الواقعة إلى آية (**وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ**)، كما حفظت من الكتاب. ثم علقتها على الشجرة وانتظرت هطول المطر. ولكن المطر لم ينزل، والجو ما يزال صحوًا والسماء صافية لا سحابة فيها!

صعدت الأكمة التي بجوار منزلنا أبحث في كل الجهات؛ فلم أجد حتى نتفة من سحاب أو بصيص أمل!

– يا فضيحتاه!

– يا مخارج الأخجف إذا ودف.

– اللهم لا تفضحني بين خلقك يا رب.

– يا رب توبة لو زدت لا تسترني.

أيقنت بأني قد كذبت على الناس، وانتهى أمري، بدلًا من أن أصبح وليًّا من الصادقين سأصبح كاذبًا من الكاذبين.

تناولت طعامي ثم قررت أن أختبأ من الناس. فدخلت إحدى الغرف

وأغلقت النوافذ وحاولت النوم فلم يغمض لي جفن، وحينها قمت فتوضأت وصليت ودعوت الله أن ينزل المطر، وألا يفضحني بين الخلق، دعوت الله بحرقة وإخلاص وبكيت. ثم واصلت الدعاء والبكاء، وحين سمعت صوت يشبه الرعد قلت في نفسي: هذا صوت الكرة، أنا في حالة مزرية والأطفال يلعبون؟!

وواصلت الدعاء والنحيب ولم أعلم كم مضي من الوقت. ما أتذكره أن الريح من شدتها أطارت بشباك النافذة الخشبي من مكانه؛ فرأيت مطرًا لم أره في حياتي. ومن شدة فرحي سجدت شكرا لله. وتواصل المطر واشتد فداخلني خوف شديد، وأيقنت بأننا سنغرق فعلًا فهرعت إلى الجعفة "الدبية" فلم أجدها. فأيقنت أننا سنغرق فعدت أدعو الله أن يوقف المطر.

والحمد لله خف المطر رويدًا رويدًا. وخرجت فهرع إليَّ الناس يقبلون يدي ويتبركون بي. ولكنني خشيت من الفتنة وأن يداخلني الغرور، وأصدق فعلًا أنني ولي من أولياء الله الصالحين، وأنني صاحب كرامات ومستجاب الدعوات. ففررت إلى قرية أخوالي لكنني ما إن وصلت عندهم حتى كان الخبر قد سبقني إليهم.

وبعد وصولي لمنزل خالي تجمعت بضعة نسوة؛ تتقدمهن خالتي التي طلبت مني أن أكتب لهن تمائم كي يحملن ويرزقهن الله بذرية صالحة. وحينها فررت من قرية أخوالي وعدت إلى قريتي من جديد!

سقوط ساحر!

لم تصدق أزهار محمود حين أخبرتها جارتها أن السيد مقبول عبد الحفيظ يجعل النسوة يرين أزواجهن المغتربين في السعودية. قررت الذهاب إليه فشوقها لزوجها لا يوصف، قريته بعيدة، ولذا فقد غادرت منزلها برفقة ولدها في الصباح الباكر وحين سمعت أذان الظهر كانت قد وصلت يفرس.

سألت عنه وحين وصلت إليه وسلمته قارورة السمن والـ 200 ريال وطلبت منه رؤية زوجها. تمتم ببعض الكلمات التي لم تفهمها ونفث على يده ثم فردها أمامها فرأت في راحة يده صورة زوجها بشحمه ولحمه!

حين رأته طفرت دموعها رغمًا عنها، وتمنت من أعماق قلبها أن يسبقها في العودة إلى البيت، آمنت أخيرًا أن مقبول عبد الحفيظ من أولياء الله الذين كشف لهم الحجب!

كنا في الثمانينات حينها لم يعرف الناس خدمة الإنترنت، وهذه الهواتف المحمولة التي جعلت الناس يشاهدون بعضهم وبينهم دول وقارات.

في البداية اشتهر مقبول عبد الحفيظ في قريته بريف تعز، وباسم الطب العربي كتب التمائم والتعاويذ، والربط بين القلوب، والتفريق، وحساب الغالب والمغلوب، مارس الدجل والشعوذة بكل صورها وألوانها حتى وصلت شهرته

إلى مدينة تعز، وعندما قدم العديد من المثقفين والمدرسين بلاغات كثيرة ضده قررت السلطات إرسال حملة أمنية لضبطه.

تم تكليف العقيد عبد العزيز منصور الشهير بـ"الشنب" بقيادة الحملة التي وصلت قبيل الظهر، استقبلهم بحفاوة بينما كان العقيد يهدد ويتوعد بسجن كل مشعوذ ودجال إن ثبت تورطه، تحرك مقبول عبد الحفيظ وذبح الذبائح وأرسل نجله لشراء كمية كبيرة من القات للعقيد والعساكر، بعد أن وزعوا أواني المرق فتح العقيد النافذة التي تطل على عدة قرى وهو يحتسي المرق، تدفق الهواء بنسيم منعش زاد من مزاجه فشرب المزيد من المرق بعدها ذهب للحمام للتبول والوضوء.

وفي الحمام وقع ما لا يخطر له على بال!

بعد أن تبول وتوضأ من ذلك الكوز نظر إلى جسمه وتجمد في مكانه غير مستوعب ما يحدث له. لقد تحول. نما له ثديان كبيران، برزا في قميصه حتى صار شكله الجديد يلفت الأنظار من بعيد، نظر بين رجليه فلم يجد عضوه التناسلي، لقد وجد عضوًا أنثويًا، لقد تحول إلى امرأة ناضجة!!

اصفر وجهه وجف ريقه وتصبب العرق الغزير منه، تعوذ بالله مرات عديدة، تحسس جسمه ليتأكد، نظر في المرآة التي في الحمام، لقد تحول فعلًا .. لقد فعلها الساحر!

غادر الحمام مسرعًا إلى مجلسه. ارتدى مسدسه ونادى على مقبول الذي

أجابه بكل هدوء واطمئنان. وحينها قاده إلى إحدى الغرف وأغلق الباب خلفه **ثم أشهر مسدسه في رأسه قائلًا:**

– ماذا فعلت بي يا مشعوذ يا حقير؟

– ماذا فعلت؟

أجابه ببرود وهو يجلس وكأن شيئًا لم يكن! **وأضاف:**

– أنت ضيفي، إذا أردت قتلي أهلاً وسهلاً، ولكنك ستظل على حالك هذا طول عمرك.

أعاد العقيد مسدسه إلى جرابه **ثم خاطبه بلهجة أقل حدة:**

– وهكذا تفعل بضيوفك؟!

– أنت وصلت عندنا تشتعل من الحماس، تحن وترعد، قلت في نفسي: سأدعه يعيش هذه التجربة كي يهدأ.

وأضاف:

– لعلمك أنا جعلت الناس يرونك رجلاً عاديا، أنت الوحيد الذي ترى نفسك على حقيقتك الآن لكن..

– لكن ماذا؟

– لكن لو أردت كل الناس يرونك عروسة شابة حلوة أنا مستعد.

حين تخيل الضابط نفسه وقد تحول من الشنب عبد العزيز إلى عزيزة. وكل العيون ترمق صدره البارز وجسمه الذي يتفجر أنوثة، والشباب يعاكسونه، والزملاء يغازلونه لم يتماسك، **انهار يقبل رأس مقبول ويديه:**

– أنا لي منعك يا سيد مقبول أبطل هذا السحر ولا تفضحنا بين الناس.

تنهد السيد مقبول **قائلًا:**

– حاضر أبشر.

جاء بكوز ماء. ثم قرأ عليه كلمات مبهمة ونفث فيه ثم أعطاه له ليتوضأ به. كان العقيد قد هجم عليه الخوف الشديد فتبللت ملابسه من العرق الغزيز، كأنه قد أغتسل بملابسه!

بعد الوضوء عاد إلى طبيعته بأعضائه الذكورية فتنفس الصعداء، وخرج يمسح عرقه وهو غير مصدق ما حدث له. تناول الغداء ثم مضغ القات عند مقبول إلى قبيل المغرب وغادر بالحملة إلى تعز.

في اليوم الثاني طلبه مدير أمن المحافظة وسأله عن الحملة. فقدم له تقريره الذي برأ فيه مقبول عبد الحفيظ من كل التهم التي نسبت إليه. **تصفح مدير الأمن تقريره سريعا ثم رماه إليه قائلاً:**

– ما هذا الكلام يا شنب؟!

وأضاف:

– كل التقارير الأمنية تؤكد أن الشخص يمارس الدجل والشعوذة وأنت تبرؤه؟!

– لم أجد أي دليل يدينه، ولم يشهد أي شخص ضده.

أمره بالانصراف إلى مكتبه فقدم له التمام وانصرف. حين غادر مكتب المدير تذكر ما حدث له فتحسس صدره وتحسس عضوه الذكري. وقد دهش مدير مكتب اللواء والضباط الجالسون معه به يخرج من المكتب وهو يمسك عضوه بإحدى يديه واليد الأخرى يتحسس بها صدره!

في اليوم التالي حين علم العقيد الشنب بتكليف النقيب مختار عبد القادر ليقود حملة جديدة ضد المشعوذ مقبول عبد الحفيظ؛ انفجر ضاحكًا حين تخيل النقيب مختار ذلك الضابط السمين يشاهد نفسه في الحمام وقد تحول إلى امرأة، **قال في نفسه:**

– مختار سمين سيكون جسمه، ما شاء الله تبارك الله.

أغلق مكتبه ثم فتح بنطاله وتأكد من عضوه، ثم نظر إلى صدره، وحين اطمأن غرق في نوبة من الضحك الهستيري وهو يتخيل ما سيحدث للضابط مختار.

كان الضابط مختار متدينًا يقرأ المعوذات وأذكار الصباح؛ فلم يؤثر فيه سحر المشعوذ الذي حاول أن يسحره لكنه فشل. ذهب إلى الحمام توضأ وعاد وصلى ركعتين ثم سحب المشعوذ ورماه في الطقم. ثم زج به في السجن ذليلا مهانًا.

تهمة غريبة!

منذ نقلي للتدريس في هذه القرية النائية، وأنا أترحم على أيامي في المدينة حيث الخدمات قريبة وميسورة. أظل أغلب الوقت وحيداً في سكن المدرسين، وحين أحتاج إلى بعض المواد الغذائية أذهب إلى البقالة التي في القرية الأخرى، تبدو قريبة لكن حين أذهب إليها أكتشف أن المسافة أبعد مما تصورت!

أمام البقالة يلهو بعض الأطفال. ما إن رأوني حتى توقفوا عن اللعب، سلمت عليهم فردوا علي باحترام، قبيل انصرافي أثارني أحد الأطفال، يقفز بشكل غريب، **قلت مازحًا:**

– يا ولد اهدأ؛ البطاريات ستخلص عليك!

ضحك الأطفال منه فيما توقف الولد عن اللعب. شعرت بالندم لأني جعلتهم يسخرون منه.

كانت الساعة الـ 11 ليلاً حين بدأت رحلة نومي، لكن الطرقات العنيفة على باب السكن جعلتني أنهض مذعوراً، **فتحت الباب:**

– أنت الأستاذ؟

– نعم، خيراً؟

صمتوا جميعًا! .. قال أحدهم:

– كلمه يا أحمد.

– يكلمني عن ماذا؟!

– بصراحة ابنه مريض، مريض جداً. قاطعته:

– ربنا يشفيه، ماذا سأقدم له أكثر من الدعاء؟!

وأضفت:

– أنا المدرس ولست الطبيب، أسعفوه إلى الوحدة الصحية، تحركوا.

عادوا للصمت من جديد! .. صمتهم الغامض أقلقني، يبدو أنهم يريدون مني نقوداً وليس بحوزتي ما يكفي لأقرضهم.

– بصراحة يا أستاذ أنت قلت عن ابنه كلمة ربما .....

قلت وقد كاد صبري ينفد:

– ربما ماذا؟!

– أصبته بعين.

– هاه! قصدكم الولد الذي قلت له: اهدأ، ستخلص عليك البطاريات؟

– نعم، هو ابنه.

– تقصدون أنه قد مرض بسببي؟!

– ربما أصبته بالعين من حيث لا تقصد.

– لا لا، اطمئنوا، أنا ما قد أصبت بعيني أي مخلوق.

وعادوا للصمت!

– ستأتي معنا.

فوجئت بقرارهم!

– أذهب معكم إلى أين؟ هل جننتم؟!

أغلقت الباب في وجوههم وعدت للداخل وقد غلا الدم في عروقي. مشكلتي أنني غريب في هذه القرية وليس معي أحد؛ وإلا لن أسمح لهم بإهانتي. عادوا لطرق الباب من جديد.

ناداني والد الطفل:

– يا أستاذ أرجوك، هذا ابني الوحيد، هذه مسألة حياة أو موت وأنا أب، أرجوك.

وبدافع من الشفقة والرحمة لبست ثيابي ومضيت معهم. القمر يرسل أشعته الذهبية والطريق تطول، وأنا غارق في ذهولي وغير مصدقٍ ما يحدث لي، كأنني في كابوس! لقد جرحوا كرامتي بهذه التهمة الظالمة، لكنني أذهب معهم لأثبت لهم أنني بريء. حين وصلنا كان العشرات من رجال القرية قد تجمهروا أمام منزل والد الطفل، سلمت عليهم قائلاً:

– يا ناس أنا ضيف في بلادكم، وقبل أن أمزح مع الولد بتلك الكلمة قلت:

ما شاء الله وصليت على النبي، العين حق لكن لست أنا من يصيب بالعين.
وأضفت:

– الولد ربما أصيب بنزلة برد، أو بضربة شمس، أو حمى، عالجوه في الوحدة الصحية.

شعروا بالحرج لكنهم ظلوا على صمتهم. **فوجئت بوالد الطفل يقبل رأسي ويدي وهو يبكي قائلاً:**

– أرجوك توضأ في هذا السطل لنقطع الشك باليقين.

توضأت في السطل الكبير الذي جاءوا به كي يغتسل منه الولد ويشفى من العين. كان الجميع يشاهدونني، وجوه أخرى كانت تراقب بصمت من نوافذ منازل القرية، كنت كمتهم يساق إلى الإعدام!

غادرتهم وأنا غارق في ذهولي وحزني، أتعثر بالحجارة والأشجار ولا أكاد أرى الطريق، تمنيت أنني ما قدمت إلى هذه القرية، لقد جرحوا كرامتي وأهانوني بتلك التهمة الظالمة، كان يمكن أن يمضي كل شيء بهدوء وسرية تامة لكن تجمهرهم حولي وأنا أتوضأ ذبحني تماماً.

لم أنم تلك الليلة من القهر، أكاد أتميز من الغيظ، أذرع الغرفة جيئةً وذهاباً وأدور حول نفسي **وأفكر:**

– سأحزم حقيبتي وأرحل. سأطلب نقلي إلى قرية أخرى. لن أعود إلى

هذه القرية المتخلفة. لا، يجب أن أبقى وأثبت براءتي. إذا غادرت سأثبت التهمة على نفسي.

بقيت لساعات في صراع مرير مع نفسي، وقبيل الفجر قررت البقاء والمواجهة. سأعمل بشتى الطرق على رد الاعتبار لكرامتي وإثبات جهلهم وفساد تفكيرهم.

المدرسون من أبناء المنطقة جاءوا في الصباح يعتذرون لي عما حدث، اقترحوا عليَّ الذهاب برفقتهم إلى الشيخ وطرح الموضوع عليه لينصفني. رفضت وقررت اتخاذ خطوة أخرى.

علمت من الأطفال أن ذلك الولد لم يتعافَ وأن مرضه قد اشتد. استأجرنا سيارة وذهبنا إلى منزل الولد وقمنا بإسعافه إلى الوحدة الصحية. بعد الفحوصات الطبية تبين أن لديه أميبيا حادة والتهابات في الأمعاء، صرف الطبيب له العلاج، أخذت العلاج واتفقنا مع والد الطفل أن أذهب كل يوم إليهم لأعطيه العلاج بنفسي. علاج الطفل صار قضية شرف وكرامة بالنسبة لي.

بعد عشرة أيام تعافى الطفل. ذهبنا إلى الشيخ، كان قد علم بما حدث وقرر أن يأتي بنفسه مع والد الطفل إلى المدرسة في وفد كبير ليعتذروا لي، وهو ما حدث. انتهت القصة لكني لن أنساها ما حييت.

بعد أشهر فوجئت بطبيب الوحدة الصحية يطرق بابي، زيارة غريبة لم أتوقعها، لكني لم أسأله عن السبب. ظل يزورني بشكل دائم، ويلح عليَّ بأن أزوره.

ذهبت إليه في الوحدة الصحية، تناولنا الغداء، وشربنا الشاي، وبقينا نتحدث، وقبيل المغرب طلب مني الخروج لنتمشى قليلاً، بدأ يشكو لي من قلة عدد المرضى الذين يأتون إليه بعد أن فتح أحد الأطباء عيادة منافسة حيث يعالج المرضى برسوم رمزية جداً.

أشار إلى عيادته، الناس يدخلون إليها ويخرجون، كانت مزدحمة كأنها خلية نحل! .. أشار مجدداً إلى تلك العيادة **قائلاً**:

– أريد منك يا أستاذ التعليق المناسب على العيادة.

لم أفهم قصده في البداية. ولما رآني غارقًا في الصمت ارتبك، ثم تنحنح، **ثم قال**:

– اشدخه بكلمتين يا أستاذ.

– كيف أشدخه بكلمتين؟!

– خارجنا من عيادته هيا.

وأضاف:

– اسكع عيادته كلمتين لعل وعسى.

لقد صدمني حين أراد مني أن أصيب عيادة منافسه الطبيب بالعين! .. غادرته وأنا غير مصدق ما يحدث!

المغفل والملحوسة

ذهبت زوجة الفقيه ياسين ملهي إليه في مجلسه؛ حيث يمضغ القات **قائلة:**

– زوجة عبده سعيد جاءت تشتكي من بخل زوجها..

قاطعها:

– من هو عبده سعيد هذا؟

– عبده سعيد اللي بظهرة بني أحمد.

هز رأسه قائلاً:

– سمعت به. قالوا غني جداً..

وأضاء وجهه بفرحة غامرة فأضاف:

– أدخليها فوراً، هذا رزق ساقه الله إلينا.

أكملت زوجته:

– هي تريد منك أن تكتب لها تميمة تجعل زوجها يحبها ويكون كالخاتم في إصبعها.

– سأجعله مثل الحذاء برجلها.

حين دخلت زوجة عبده سعيد، رمى إليها بعدة حزم من القات ثم قال:

– سبحان الله الذي جاء بك إلينا في الوقت المناسب. زوجك كان يفكر يتزوج عليك، لكني أعدك أن ينسى هذا الأمر ويصبح مثل الخاتم بإصبعك.

قاطعته:

– وأنا سأعطيك الأجرة التي تريدها.

وفُوجئت به يقول:

– ولا أريد منك حتى ريالاً واحداً. فقط اسمعي الكلام.

ثم سألها:

– هل علم بمجيئك إليَّ؟

– لا، جئت دون علمه.

– اسمعي الكلام الذي سأقوله بالحرف الواحد .. أنتِ من الآن: ملحوسة بنت سهسهوب جزار شيخ جن جبل المحمود.

– ما هو يا فقيه؟!

– اسمعي الكلام: أنتِ ملحوسة بنت سهسهوب جزار شيخ جن جبل المحمود .. أنا عندما آتي إليكم سأسألك بربك ودينك وأنتِ قولي هذا الكلام والباقي عليَّ أنا.

– أقول: إنّي منحوسة بنت مسهوب شيخ جبل الجن.

– قلتُ لكِ: ملحوسة بنت سهسهوب جزار شيخ جن جبل المحمود.

– وجعل يكررها عليها حتى حفظتها.

بعد أيام ذهب إلى عبده سعيد في منزله فاستقبله بحفاوة كبيرة، وبعد أن انفضّ من كانوا معهم في المجلس **قال له:**

– أخي عبده، أنا علمتُ –وهذا بيني وبينك– أن زوجتك مخطوفة عند شيخ جن جبل المحمود.

صُدِم عبده سعيد من كلامه قائلاً:

– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إيش تقول يا فقيه؟!

كرر الفقيه كلامه ثم قال:

– أنت لن تصدقني، لكني سأثبت لك.

وأضاف:

– هات لي موقداً كبيراً فيه الكثير من النار المشتعلة.

وحين جاء إليه بالموقد طلب منه إناءً فيه ماء، ثم **قال:**

– اغمس يدك في ماء الإناء ثم ضعها فوق النار وقل لي: هل ستحرقك النار؟

غمس عبده سعيد يده في الماء ثم رفعها ووضعها فوق النار فوجدها محرقة. **وحينها قال له المشعوذ:**

– اذهب وهات زوجتك وسأثبت لك أنها بنت جزار شيخ الجن.

حين خرج عبده سعيد من المجلس ليأتي بزوجته؛ أخرج المشعوذ زجاجة محلول كيميائي وسكبه في الماء. وحين جاءت المرأة وغمست يدها في الماء ثم وضعتها فوق النار لم تحرقها ولم تتأثر يدها! .. حينها بُهِت عبده سعيد وارتبك، **فصاح المشعوذ بالمرأة:**

– أسألك بربك ودينك مَن أنتِ؟

فتلكأت. فكرر عليها السؤال، وفي المرة الثالثة **أجابت:**

– أنا ملحوسة بنت سهسهوب جزار شيخ جن جبل المحمود.

حينها تهاوى عبده سعيد وأغمي عليه، فرشَّه ياسين ملهي بالماء. ولما فاق **قال له بهدوء:**

– لماذا تخاف؟ زوجتك ستعود إليك، وهذه المسكينة لن تؤذيك وستعود لأهلها، فلماذا تخاف؟!

وأضاف:

– أنا سأقف معك حتى تعود إليك زوجتك لو نطرح عند مشايخ الجن باليمن كلهم ونرضيهم.

قال عبده سعيد بصوت واهن مرتعش:

– يعني أنا كنت عايش مع الجنية الملحوسة هذي؟

– قلت لك لن تؤذيك. فقط أنت اسمع كلامها.

– حاضر.

وأضاف:

– قدنا أقول تشتهي لحمة، طلعت بنت جزار الجن!

قال المشعوذ:

– إذا طلبت لحمة لا تبخل عليها. مسكينة أبوها كان كل يوم يؤكلها نصف ذبيحة على الأقل.

وأضاف:

– أشتهي أقول لك حاجة أخي عبده وتكون سرًا بيني وبينك. ملحوسة حبيتك ولذا صبرت على بخلك عليها..

قاطعه:

– حبها حنش هذي الصياد الملحوسة.

قال المشعوذ:

– اصصصصه لا تضر نفسك وتضرنا معك، أنت على نياتك ما تعرف شيء.

وهمس له:

– كل أسبوع يمر عليها أبوها ويسألها: كيف حالك؟ وكيف عبده سعيد معاك؟ فتشكرك عنده، وترفعك للسماء. تعرف والله لو اشتكت بك سيتركك حتى تكون بين الناس وينفخ بطنك وهات يا غازات وأصوات خارجة من دبرك. فضائح.

أصفرَّ وجه عبده سعيد وهجم عليه الخوف والقشعريرة وجعل يضرب كفًا بكف **قائلاً:**

– يا لطيف يا لطيف كل شيء إلا هذي الفضائح!

ثم أضاف:

– وما هو الحل يا فقيه؟ أنا لي مَنعك؟

– الحل تسمع كلامها وتكتم السر وتخلينا نشوف كيف نراضي مشايخ الجن ونرجع زوجتك المخطوفة عندهم.

قام عبده سعيد يذرع المجلس جيئةً وذهابًا، وهو في حالة من الخوف والذهول. **ثم سأله:**

– ومريم زوجتي كيف حالها عندهم؟

– تصدقني لو حلفت لك أنها عندهم مثل الملكة؟ شيخ جن جبل المحمود عمل لها قصراً داخل الجبل، وعمل لها خدمًا وحشمًا وتأكل ما لذ وطاب.

وكل يوم تركب على خدامها وتطير تشوف الدنيا كلها.

– يعني نسيتنا بعد كل هذي العشرة؟!

– أكيد وأنا خائف أنها هي اللي ترفض ترجع لك.

– بنت الذين!

استأذن ياسين ملهي من عبده سعيد وغادر وتركه يضرب أخماساً في أسداس. وما إن غادر حتى دخلت زوجته وبيدها صحنٌ من الفواكه فأسرع يأخذ عنها الفواكه ويقبل رأسها ويشكرها **قائلاً**:

– أنا قصرت معك كثيراً يا ملحوسة.

وأضاف:

– لكن لك وجهي وعهد الله أعوضك وأسمع كلامك من الآن.

قالت زوجته:

– أولاً أنا حبيتك وأسلمت من أجلك وسميت نفسي "مريم".

– الله أكبر الله أكبر. خلاص مريم مريم.

بعد أسبوع أرسل ياسين ملهي جواباً إلى عبده سعيد. طلب منه الجدي السمين وحزمة القات الفاخر حتى يعزم مشايخ الجن ويطرح عليهم الموضوع. وفعلاً أرسل له الجدي والقات.

وهكذا ظل لسنوات يجمع خيرات الأرض والحيوانات، ويعمل كل جهد ليُرضي بنت الجني وياسين ملهي ومشايخ الجن، حتى يئس من عودة زوجته، ورضي بالصياد؛ لأنها طيبة وتشكره عند أبيها وأهلها.

ومات المشعوذ، وظل عبده سعيد كالخاتم في إصبع زوجته مريم التي يعتقد أنها ملحوسة بنت سهسهوب جزار شيخ جن جبل المحمود.

ودائمًا كان يردد:

– صحيح هي جنية بس طيبة وقد أسلمت وعقلت، وأحبتني، وبيننا عيش وملح وأولاد. ودائمًا تشكرني عند أبيها الجني .. كثر خيرها!!

المعجزة المزيفة!

ما إن انتهَ الناس من طعام الغداء وجلسوا يمضغون القات في منزل أحمد حاتم؛ **حتى وقف أحد الناس فجأةً وصاح:**

– يا ناس اسمعوني: أنا عبد الله قاسم أريد منكم دقيقةً فقط، أنا كنت مريضًا، أصبت بكساح، تحجرت مفاصلي، بدأ الوجع في ركبتي ثم انتشر في كل مفاصلي. طفتُ العالم خلال سنوات أبحث عن الشفاء، ذهبتُ إلى الهند ومصر والأردن وألمانيا. بعتُ منزلي في حوض الأشرف وكل الأراضي التي كنت أمتلكها وأنا أتعالج. ثم يئستُ تمامًا، عدتُ إلى منزلي الذي استأجرته، وقررتُ أن أظل هكذا ممدداً على فراشي بقية عمري.

مسح عرقه ثم واصل حديثه:

– صلوا على النبي يا جماعة.. نصحني جاري قبل عام أن أذهب إلى السيد أحمد حاتم، في البداية لم أصدق جاري، ظننتُ أنه مشعوذ، سامحني يا رب. حملني أولادي إليه. أعطاني زيوت وأعشابًا. كانوا يدهنون مفاصلي وأنا أضحك مما يفعلون. ولكن الله على كل شيء قدير، لقد حدثت المعجزة التي لم تخطر لي على بال، لقد بدأت مفاصلي تتحسن، بعد شهر واحد بدأت أمشي على قدمي، كل هذا بفضل هذا الرجل المبارك، وأنا الآن بخير مثل الريال. لك الحمد يا رب.

أنهى جملته ثم هوى على جبهة أحمد حاتم يقبلها، قبل ركبته وأقدامه أيضاً، ثم أجهش بالبكاء وسط رفض من أحمد حاتم لما يفعله، لقد أوقفه **وهو يقول:**

– استغفر الله العظيم. كله بإرادة الله. هو الشافي يا أخي، نحن مجرد أسباب.

رمى له أحمد حاتم بحزمتين من القات لفَّهما في كيس ثم مضى. اندهش الحاضرون مما سمعوا وزادت مكانة أحمد حاتم في أعينهم، وراح أغلبهم يدعون له بطول العمر، وأن يجزيه الله جنة الفردوس.

رفع أحمد حاتم رأسه نحو السقف ورفع يديه قائلاً:

– يا رب أنت تعرف غايتي ومرادي، كررها مرات عديدة.

سكت الحاضرون وتطلعوا نحوه بفضول:

– جدي يا رب جدي رسول الله ﷺ وعلى آله أسألك مرافقته في جنة الفردوس.

ردد الحضور:

– يا رب استجب دعواته. اللهم صلِّ وسلم على رسول الله وآله أجمعين.

بعد أن غادر عبد الله قاسم المجلس، دخل إلى غرفة نجل أحمد حاتم الذي دسَّ في جيبه عشرين ألف ريال **وهو يقول:**

– أنت ممثل موهوب يا عبد الله، أديت دورك بإتقان حتى أنني كدت أصدقك، أنا تابعتك من الكاميرات.

يضحك وهو يخبره:

– أنت تقول فيها! والله إني كنت ممثلاً موهوبًا في المدرسة والجامعة وشاركت في كثير من المسرحيات ولكن الحظ راح لغيري.

ثم أضاف:

– تعرف أنني كنت أمثل أنا وآدم سيف "دحباش" سويًا في مسرح الجامعة زمان، بس هو الذي نال الشهرة. أرزاق.

يجلس ويبدأ في مضغ أوراق القات. يصغي لنجل أحمد حاتم:

– شوف ابنك شكري غداً عليه الدور.

وبدأ يشرح له:

– تأتي مع ابنك الثاني بعد العصر، سيمثل دور شاب أخرس يحاول النطق ولا يستطيع. عليه أن يتدرب من اليوم. عندما يصل، يحاول أخوه منعه من الوصول للوالد، وهو يتلعثم ويحاول بصعوبة أن ينطق. الوالد سينادي أخاه بأن يتركه يأتي إليه، سيصل للوالد يسلم عليه ويقبل رأسه وركبته ويشير إلى فمه. سيعطيه الوالد ثلاثة أعشاب قات بعد أن يقرأ عليها ويبصق فيها، سيبدأ يمضغها ثم ينطق تدريجيًا حتى يتكلم بكل فصاحة .. فهمت وإلا أعيد الشرح؟!

– فهمت، خلاص لا توصي حريصاً، لكن قصة الأخرس نؤجلها لبعد غدٍ لأن أولادي بكرة سيذهبون إلى القرية لأمر هام.

– طيب، هل معك مقترح آخر؟

– دعني أفكر قليلاً وأعرف أموراً.

وأضاف:

– أرسل لي علبة سجائر كمران وقداحة وعلبة بيبسي أحمر.

– حاضر.

تسود دقائق من الصمت يصيح بعدها عبد الله قاسم:

– وجدتها.

– هاه خير؟

– نأتي بشاب مطعون والدم ينزف منه، مطعون تمثيل يعني، نعمل فيمتو أو بيبسي أحمر، والوالد سيمسح مكان الطعنة، بعدها يقوم الشاب بخير مثل الحصان.

– لا، هذه حركة مكشوفة جداً.

وأضاف:

– لن أضحي بسمعة والدي في تمثيلية مفضوحة مثل هذه.

– خلاص، نشوف غيرها.

يضيق به ذرعـًا فيطلب منه أن يغادر:

– خلاص، يـوم غـدٍ اعتبره إجـازة، وبعـد غـدٍ تـأتي بالشـاب الأخـرس، وإذا جاءت لي أنا فكرة مضمونة سأتصل بك.

– طيب والسجائر والبيبسي؟

– خذهما من البقالة على حسابي.

ينهض مغادراً فيصيح به:

– أين ستذهب؟

– سأعود للبيت.

– غطِّ وجهك بالشال. ستفضحنا، الله يفضحك!

وأضاف:

– ماذا لو رآك الناس وأنت تخرج من عندي؟ ماذا سيقولون؟!

يغادر عبد الله قاسم بعد أن غطى وجهـه بالشـال، فيغلـق نجـل أحمـد حـاتم الباب خلفه ويرتمي على الكرسي وهو يحدث نفسه:

– يقول إنه ممثل موهوب؟! والله إنه حمار، بس هذا رزقه.

بعد يوم، وفي اليوم التالي جاء الشاب برفقة شقيقه الذي ألقى السلام:

– السلام عليكم، السلام تحية.

– أد أد أد أدلام دلام ألي إللي إليجم

لفظها بصعوبة وهو يمضي نحو مجلس أحمد حاتم بينما شقيقه يحاول جره وهو يرفض، وإذا بأحمد حاتم ينادي عليه:

– اتركه يأتي، اتركه يا ابني.

وصل إلى أحمد حاتم وهوى يقبل رأسه وركبته وقدمه وأجهش بالبكاء. رفعه من الأرض واستغفر الله، فأشار الشاب إلى فمه:

– أد أد أد أدي.

قاطعه:

– تريد أن تتكلم؟ أن تنطق، تتكلم فصيحًا؟

أشار برأسه موافقًا، ثم أشار له بأن يجلس مقابله. أفسحوا له مكانًا، رفع أحمد حاتم ثلاثة أعشاب من قاته الفاخر وظل يقرأ عليها ويدعو، ثم بصق عليها ورماها للشاب قائلاً له:

– اقرأ في سرك المعوذات وآية الكرسي وبسمل وامضغ القات.

بعد دقائق بدأ الشاب بالنطق قليلاً وسط دهشة الناس، وخلال نصف ساعة كان الشاب قد تحدث بشكل فصيح. كبّر أحمد جابر وهلّل وحمد الله. كان الناس خلفه يكبرون ويهللون وقد ألجمت أفواههم المفاجأة وأدهشتهم المعجزة! .. بعد ساعة كان الشاب قد اندمج معهم في الحديث ونسي أنه جاء

بمهمة محددة، وأنه قد أنجزها، وأن عليه أن يغادر. لقد أخذ يتحدث متأثراً بنشوة القات الفاخر الذي يمضغه لأول مرة، وإذا به يقول:

– تعرفون يا جماعة أنا كل يوم أحاول أشارك في برامج "إذاعة وطن" لكن دائماً الخط مشغول.

تنحنح أحمد حاتم ومسح شاربه مشيراً له بوضع إصبعه على فمه بأن يسكت، **لم يفهم الشاب الذي واصل حديثه:**

– كل يوم أحاول أتصل وأشارك والخط مشغول!

تنحنح أحمد حاتم مرة أخرى وحاول أن يسكته لكنه تدفق بالكلام كأنه سيل:

– كل يوم أحاول بلا فائدة. لكن أمس توفقت في الاتصال وتحدثت في الإذاعة لمدة ربع ساعة!

فغر الحاضرون أفواههم وباغتهم سؤال واحد:

– كيف تحدث أمس وهو أخرس؟!

وبادره أحدهم بقوله:

– كيف تحدثت أمس وأنت كنت أخرس؟!

رد عليه باستغراب:

– كيف أخرس؟ متى كنت أخرس؟! .. أنا فصيح من زمان. أنا كنت ألقي

كلمة المدرسة في الطابور والكل يصفقون لي. أنا مشهور بإلقاء الكلمات ووو...

قاطعه أحمد حاتم:

- ومتى أُصبت يا ابني بعقدة اللسان فجأة؟!

رد عليه وقد انتشى:

- أنا عمري ما أُصبت بعقدة اللسان، أنا فصيح من طفولتي.. حتى لما قال لي الوالد أجي هنا وأمثل دور أخرس، رفضت في البداية لكن..

قاطعه أحمد حاتم بغضب:

- خلاص اسكت، شغلتنا أنت وفصاحتك.

بدأ الناس يتغامزون ويتهامسون ويكتمون ضحكاتهم. لقد ظهرت حقيقة أحمد حاتم؛ طبيب الأعشاب المبارك، صاحب الكرامات والمعجزات!

كان وجه أحمد حاتم قد اسودَّ كأنه فحمة من شدة الخجل، تصبب العرق منه ولم يستطع الجلوس وسط نظرات الناس الساخرة وتساؤلاتهم الجارحة، قام من فوره إلى مكتب نجله، ودون مقدمات صفعه صفعة مؤلمة ومضى إلى الداخل.

تميمة ومشقر وريحان

حين يختفي الظل بجوار منزلنا ويرتفع أذان الظهر من مساجد القرية؛ تعود أمي من الحقل وعلى رأسها حزمة كبيرة من الحشائش والبرسيم. تطرح جزءاً منه للبقرة وتضع ما بقي منه فوق الخزان. في الصباح قبيل أن تغادر تجهز كل شيء، ثم توصيني:

– إذا جاء خالك أخرج الطفل واجعله يدخل أولاً، ثم أدخل الطفل.

ألتفت إليها مستغربـًا فتضيف:

– إذا دخل خالك والطفل بالداخل اجعله يضع إصبع رجله اليمنى على سرة الطفل.

يزداد تعجبي ودهشتي فتوضح لي:

– حتى لا يمرض الطفل إذا دخل عليه فجأة.

لم أفهم ماذا تقصد أمي. أظل بجوار المنزل أراقب كل الطرق منتظراً قدوم خالي لكنه لم يأتِ. وفي اليوم التالي، كنت ألعب بجوار منزلنا عندما جاء خالي، فرحت بوصوله وفتحت له الباب فدخل. أخرجت أخي من مهده وقدمته لخالي فاحتضنه وهو يقول:

– ما شاء الله تبارك الله.

وسألني ما اسمه:

- عبد الرقيب.

أعدته للمهد ثم سألته:

- يا خال، لماذا لا تضع رجلك على سرته؟!

ضحك وهو يقول:

- أكيد أمك قد أوصتك بهذا، أعرف أختي ستظل طول عمرها متمسكة بهذه الخرافات!

جلس خالي لمدة ساعة يسأل عن أحوالنا ثم ذهب. عادت أمي فأخبرتها بأن خالي قد جاء ودخل على الطفل ثم رفض أن يضع إصبع قدمه اليمنى على سرته. شحب وجهها واعتراها خوف مفاجئ، ذهبت تطمئن على الطفل، وهي تحوقل وتبسمل وتقرأ المعوذات وتسأل الله الستر واللطف.

- هل أعطاك شيئًا؟

- عشرة ريالات وهذه الفواكه.

في المساء عادت أمي إلى الحقل وأوصتني بالطفل، خرجت ألعب وتركته، وعندما سمعت بكاءه حملته في المهد إلى جوار المنزل وبقيت ألعب. جاءت الدلَّالة التي تبيع الثياب للنساء، وحين رأت الطفل في المهد بجوار المنزل والريح تهب قوية حملته إلى الداخل وحذرتني من تركه بين الريح والشمس.

في اليوم التالي، كان الطفل يئن ويحشرج وقد ارتفعت حرارة جسمه، لم

تذهب أمي للحقل، غسلته بماء بارد فزاد صراخه ثم هدأت الحمى في جسمه. لكن الحمى عاودته، سالت دموع أمي وتمنت أن خالي لم يأتِ، كنت أعلم أنني السبب، شعرت بالندم وهممت أن أعترف لأمي بما حدث لكنني خشيت من عصاها التي لا ترحم، وحين جاءت الدلالة فررت.

صعدتُ إلى السطح وأصغيتُ لحديثهنَّ من فتحة المِنوَر، أخبرتْها الدلالةُ بأنني كنتُ ألعب ووضعتُ الطفلَ بين الريح والشمس فأصيب بنزلة برد. قررتُ أن أرجمَ الدلالةَ بحجرٍ عندما تخرج من بيتنا، ومع هذا فقد أصرَّت أمي على أنَّ قدومَ خالي ودخولَه البيتَ على الطفل فجأةً هو سببُ مرضِ الطفل، ونجوتُ من الضرب.

صباحَ اليوم التالي، أيقظتني باكراً وأعطتني 100 ريالٍ، وأمرتني بالذهاب للفقيه ليكتب للطفل تميمةً تشفيه من المرض وحجاباً يحصنه من العين.

- لكني لم أفطر.

- ستفطر في بيت الفقيه.

وأضافت:

- زوجة الفقيه تعرفني جيداً، وستعطيك مُشقراً (نباتات زكية الرائحة تتزين بها النساء) وريحانًا لي.

طوال الطريق بقيتُ أفكر في الكلب المناوب في باب منزل الفقيه كحارسٍ يقظ، قطعتُ لي عصا من شجرةٍ أدافع بها عن نفسي إذا هاجمني كلبُ الفقيه.

ومن حسن حظي أنني وصلتُ والكلبُ نائمٌ فتسللتُ إلى الداخل بحذر.

بعد الإفطار أعطيتُ الفقيه النقودَ وأخبرتُه بطلبِ أمي. أخرج من جيبه عشرةَ ريالاتٍ ودسَّها في جيبي، صار في جيبي 20 ريالاً. كان يتثاءب وتحول لونُ عينيه إلى الأحمر وغشيه العرقُ، ثم أخذ ورقةً وكتب فيها، ثم أوصاني بأن نبخِّر بها الطفلَ، ثم أخذ ورقةً أخرى وكتب عليها، ثم غلَّفها بالجلد وربطها بخيطٍ وسلَّمني إياها لنضعها حجاباً في رقبة أخي.

خرجت من عنده. فسألتني زوجة الفقيه:

– أنت ابن نورا؟

– نعم.

– ما اسمك؟

– حسن.

– لحظة سأقطف لأمك تيناً ومشقراً.

وظلت تثرثر:

– كنا نرعى البقر سوياً.

– ألم تخبرك أمك أنني صديقتها وما تفرقنا إلا عندما تزوجت؟!

– هل أخبرتك أن بقرتها ركضتني وكادت تقتلني لولا نجدة الراعيات؟

– لا، لم تخبرني بهذا.

سلمتني التين والمشقر وأوصتني أن أسلم على أمي. في الطريق فتحت الورقة وقرأت المكتوب فيها: "إن فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار". كانت هذه العبارة مكررة في الورقة كلها. ربطت أمي الحجاب على رقبة الطفل ثم بخرته بالورقة الأخرى فزاد سعاله وزادت الحمى.

في كل صباح تغسل أمي الطفل بالماء البارد وتدهن جسمه بالزيت حتى تعافى. مرت أيام وأسابيع **وليس في ذهني غير سؤال واحد:**

– ماذا كتب الفقيه في الحجاب؟!

وقلت في نفسي:

– إذا كان الفقيه قد كتب: "إن فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار" فأنا أستطيع كتابة هذه العبارة وسآخذ النقود لي.

فتحت الحجاب وقرأت ما في الورقة، ودهشت حين وجدته قد كتب فيها: "الله يجعلكم طول عمركم جهالاً ويكثر لنا من الأموال"! .. حينها أدركت أن الفقيه مشعوذ دجال يضحك على الناس.

اشتريت قلم حبر أسود كقلم المشعوذ وأوراقاً كأوراقه. وكلما أرسلتني أمي أو أهل القرية إلى الفقيه أذهب إلى منتصف الطريق وأكتب على الورق: "إن فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار". أتأخر قدر مسافة الطريق ثم أعود بعد أن سطوت على النقود وسقطت في ذهني الخرافة!

ولي اللّه سابقًا!

عندما كنت أدرس في الصف السادس الابتدائي، عدت ذات مرة إلى بيتنا. فرأيت حركةً غريبةً وسيارةً فارهةً تقف بجوار البيت فتعجبت. **وعندما وصلت البيت قادتني أمي إلى غرفة داخلية قائلة:**

– هذا الشيخ أحمد المبارك جاء من بلاد بعيدة إليك لكي تكشف له عمن سرق نقوده وذهب زوجته.

أجبتها بدهشة:

– أنا؟

– أيوه أنت.

– وهذه المرأة والأطفال؟

– هذه زوجته وهؤلاء أطفاله.

ثم ألبستني الثوب الأبيض والغترة البيضاء "عدة الشغل".

أما لماذا جاء هذا الشيخ إليَّ؛ فهي قصة غريبة، سأرويها لكم:

عندما كنت في الثانية عشرة من عُمري، سَرَتْ شائعة في قريتنا والقرى المجاورة بأنني قد كُشف عني الحجاب، ورُزقت معرفة الأسرار .. باختصار

كنت بنظرهم من أولياء الله الصالحين الذين ينظرون بنور الله، ويعلمون الغيب أيضًا!

ولأنه لا دخان من غير نار؛ فقد كنت أقرأ كل كتاب أراه، ومن ضمن ما قرأته كتاب "أبو معشر الفلكي"، وتعلمت من الكتاب معرفة الأبراج وقراءة الكفّ والطالع، وحساب الغالب والمغلوب. وبدأت أخبر أقاربي بأبراجهم وأقرأ لهم الكف، وأكتب الأحجبة والتمائم للأطفال. كنت أعبث وأتسلى، لكنني فوجئت بأنهم يصدقون ما أقول فأعجبني الأمر.

أتفرس في أكفهم، ثم أضحك عليهم بالطريقة التي تعجبهم. ولأني أعرفهم جيدًا؛ فقد كنت أخبرهم عما يحبون سماعه، وأستمع إليهم يتحدثون عن أنفسهم.

دخلت عليهم في المكان فوجدته ممتلئًا على آخره؛ الشيخ ومرافقوه وأقاربي والجيران، لقد جاء الشيخ بالذبائح والهدايا وحزم القات فتجمَّع الناس.

نظر إلي الشيخ مستغربًا. وقال:

– هو هذا الولي الذي معه السر؟!

صاحوا بصوت واحد:

– هذا الولي بعينه.

قال عمي للشيخ:

– ليس لك إلا قضاء حاجتك، وعلى ضمانتي.

بعد الغداء تركتهم ودخلت، جاءت إليَّ زوجة الشيخ، أرادت أن تقبِّل يدي، فمنعتها.

ثم بدأت تحدثني عن زوجها الذي يهددها دومًا بأنه سيتزوج، **قالت:**

– أحرق قلبي وأمرضني، ما فيش على لسانه إلا: سأتزوج، سأتزوج وأجيب لك ضرَّة.

قاطعتها:

– لذا أخذتِ الذهب والنقود من الخزنة.

دهشت لسماعي ألقي إليها بالحقيقة. **فاعترفت:**

– أيوه .. أخفيت الذهب والفلوس كي يتأدب.

ألقيت بحكمي النافذ:

– سنقطع رغبته في الزواج وأنت تعيدين الأشياء إلى مكانها خلال أسبوع.

تركتها وعدت إلى المجلس، نظروا إليَّ بانتظار ما سأقول:

– فلوسك وذهب زوجتك يا شيخ بالحفظ والصون، وسيعود كل شيء إلى مكانه خلال أسبوع.

- كبَّر الجميع، وحمدوا الله. **فقلت:**

- بقيت لي كلمتان مع الشيخ.

قام الشيخ من مجلسه، وخرجنا نتمشى. ثم صعدنا الأكمة التي بجوار بيتنا. قلت له:

- في واحدة بنفسك وتفكر تتزوجها.

- أيوه صح واحدة مدبدبة.

- لا داعي للمدبدبة والمربربة.

- لماذا؟ هل هي نحس؟

- النحس كله.

- أعوذ بالله.

- المهم اترك الكلام حول الزواج لتطيب لك الأمور.

بعد تلك الزيارة أدرك الناس في قريتنا والقرى المجاورة أن وليًّا من الصالحين قد ظهر بينهم، يأتيه الناس من أماكن بعيدة. ولذا زادت جموع البنات اللواتي يأتين إلي **وفي أذهانهن سؤال واحد:**

- هل سيتزوجن أم لا؟!

لكنني كنت قررت أن أترك الكذب على الناس، وأعود ألعب الكرة مع

الأولاد .. فأمي منذ بدأت شهرتي تذيع حرمتني من الذهاب للعب، وصاحت فيَّ:

– ما فيش ولي يلعب مع الجهال.

أسابيع وأنا أعيش صراعًا كبيرًا في نفسي: هل أمضي في هذا الطريق المغري، لقد ملئت جيبي من النقود .. بيتنا تحول إلى مزرعة دجاج، وقوارير العسل والسمن في كل مكان، كل يوم ذبائح وزوار والمزيد من الكذب. ثم قررت أن أتوب وأتخلى عن الكذب على الناس، لن أقرأ الكف لأي فتاة، ولو أحرجتني أمي.

لكن كيف سأصنع أمام هذه الطوابير التي تأتي من كل حدب وصوب؟! .. بعض البنات تأتي محملةً بالدجاج والبيض والسمن والعسل والنقود، وتقبل رأس أمي وتظل تترجاها بأن تحرجني أقرأ لها الكف وأخبرها:

– هل ستتزوج وتستريح من العمل في بيت أهلها ومتى؟

تأتي أمي، وتخبرني:

– فلانة جاءت من منطقة كذا وهي بعيدة جدًا ... أقاطعها:

– يا أمي هذا كذب وأنا لن أكذب على أحد.

تصرُّ أمي:

– يا ابني، ماذا سيضرك لو فرّحتها، وقلت لها: إنها ستتزوج؟!

– خلاص قولي لها: إنها ستتزوج وتعيش في سعادة وهناء، وتنجب أولادًا وبنات، وستذهب للحج والعمرة، وسيكون لها رزق من المواشي ووو .. اكذبي عليها أنتِ.

وأضفت:

– يعني أنتِ تستلمين السمن والدجاج والبيض، وأنا أكذب؟!

تضحك أمي وتؤكد:

– هي تريد أن تسمع الكلام منك أنت.

– أدخليها وسأخبرها.

بعدها اضطررت لنشر شائعة جديدة، وهي أنني إذا قرأت الكف لأحد، وأخبرته بالسر وما سيحدث له في المستقبل يصيبني مرض شديد.

وهكذا احتفظت بصفة الولي لكن مع إيقاف التنفيذ.!

لكن فرحتي ظلت ناقصة؛ فحين ذهبت للعب الكرة مع الأولاد، كلهم أرادوا أن يلعبوا معي، وخافوا أن يلعبوا ضدي .. فمن هو الذي سيبيع عُمره ويلعب ضد الولي؟!

حاولت أقنعهم أنني بشر لكنهم أصروا على ولايتي فعدت مكرهًا إلى صفوف الجماهير من المتفرجين!

في آخر العام الدراسي، سمعت الذي صدمني صدمة العمر، كنت أمر

بجوار غرفة الأساتذة، **فسمعت المدرس المصري فتحي الدسوقي يقول:**

– محمد مصطفى بليد جدًا بالرياضيات، لكني نجحته أحسن لو سقطته يسخطني قرد ولّا كلب!

مصير القطب الجديد!

جرّني صديقي إليه جرًّا، فهو بحسب زعمه من أهل الله وخاصته، وهو بحرٌ من "العلم اللَّدنيّ"، قد كشف الله له الحجب فصار ينظر بنور الله، كتب الله على يديه شفاء المرضى وقضاء حاجات الناس وتفريج كربهم. **قلت لصديقي ونحن في الطريق:**

– من هذا الشيخ الذي شوّقتني لرؤيته؟!

وبدلاً من أن يعرّفني به زاد الأمر غموضًا وزادني شوقًا إليه حين **قال:**

– ليس من المشهورين لكنه قطبٌ من الأقطاب، من الأخفياء الأنقياء الذين لو أقسموا على الله لأبرّهم.

وأضاف:

– هو من أهل الزوايا وأنت تعلم أن في الزوايا خبايا.

لذت بالصمت والتوجس، وقلت في نفسي: من المؤكد أن صديقي يبالغ لكننا لن نخسر شيئًا، وكلها ساعات وبدلاً من جلوسنا أمام التلفاز ومتابعة مباراة برشلونة وريال مدريد سوف نجلس مع هذا الشيخ المبارك لعلنا منه نستفيد.

وصلنا إلى منزله في أقصى المدينة، وجدنا بابه مفتوحًا فدخلنا، كان يجلس في رأس المكان يمضغ القات ويدخّن المداعة (النرجيلة) ويتصبب عرقًا، تقدّمنا إليه، صافحته بينما انحنى صديقي يقبّل رأسه ويده ثم سلّمه كيس القات فبصق فيه ثم أشار لنا بالجلوس. المكان ممتلئ بالمريدين، أحدهم يضرب الطبل بقوة فيهز الجميع رؤوسهم ويصيحون:

اعرج بنا يا قطبنا نحو الحبيب

في طيبة حيث الحياة لنا تطيب

الله الله الله الله.

شرع صديقي يمضغ القات بشراهة بعد أن نال البركة من بصاق شيخه. وحين بدأ يهز رأسه ويمضي معهم في الذكر، كنت قد ركزت بصري نحو الشيخ المشغول بهاتفه الجديد. يضعه جانبًا ثم يكتب في أوراق ثم يعود إليه، ثم يشرد إلى بعيد وكأنه في عالم آخر.

ارتفع أذان العصر من مساجد المدينة وشمس حزيران ما تزال ترسل إلى الأرض أشعتها الحارقة. انتظرت أن يقوم الشيخ ومريدوه للصلاة إلا أنهم كانوا ما يزالون في نشيدهم الصاخب. يتصبب العرق من وجوههم وهم يمضغون القات فيما روائح الدخان والبخور تخنق المكان.

خرجت وصاحبي للصلاة، كنت أسعل طوال الطريق إلى الجامع، لقد أصبت بصداع حاد من صوت الطبل ورائحة الدخان والبخور التي تغطي سماء المكان.

بعد الصلاة سألت صديقي:

– لماذا لا يصلون؟!

أبدى استغرابه من سؤالي، ثم همس لي:

– اسكت لا أحد يسمعك. هؤلاء قد بلغوا مرحلة اليقين وكشفت عنهم الحجب، أرواحهم تطير إلى الحرم المدني تصلي خلف الرسول ﷺ الفرض. ثم يؤدون السنة بالحرم المكي.

قلتُ مندهشـًا:

– وأنت تصدق هذا الكلام؟!

– الشيخ قال هذا.

– وأنت صدقتهم أنهم يطيرون إلى مكة والمدينة؟!

– الله على كل شيء قدير.

اعتذرتُ لصديقي عن العودة إلى مجلس الشيخ لأني قد أُصبتُ بالصداع من الدخان والبخور وصوت الطبل. عدتُ إلى منزلي وأنا غير مصدق أن صديقي المثقف اليساري الذي يهاجم العلماء في الصحف ويتهمهم بالرجعية والتخلف قد سلّم عقله لهذا الشيخ الغريب وصار من مريديه!

ومضت أشهر حتى فوجئتُ وأنا أقلب إحدى الصحف بصورة ذلك الشيخ بجوار خبر "القبض على دجال بعد ضربه فتاة حتى الموت". وأسرعتُ أقرأ

تفاصيل الخبر: (ألقت الأجهزة الأمنية القبض على دجال في جنوب العاصمة بعد قيامه بضرب فتاة حتى الموت بدعوى علاجها من المس الشيطاني...). لم أكمل الخبر، اتصلتُ بصديقي إلا أن هاتفه كان مغلقًا، وبعد أيام وجدته فأسرعتُ أسأله عن شيخه فأكد لي أن الشيخ تعرض لمؤامرة وأنه بريء وسوف يخرج من الحجز قريبًا.

بعد أسابيع اتصل بي صديقي طالبًا أن نلتقي في المقيل، وحين سألته عن المكان أجابني في زاوية الشيخ، **فسألته:**

- هل خرج الشيخ؟

- الشيخ يبدو أن قضيته ستطول لكنهم أحرجوني في الجلوس مكانه لإدارة الزاوية حتى يخرج.

اعتذرتُ لصديقي "القطب الجديد" عن تلبية دعوته؛ بسبب تضايقي من الدخان والبخور وصوت الطبل. ومن يومها وأنا أتابع الصحف بانتظار أن أقرأ خبر القبض عليه!

كائن خرافي!

في قريتنا الصغيرة، لا يحدث شيء ويظل طيَّ الكتمان. ذات يوم، انتشر خبر حصول الحاج نعمان على جرة مملوءة بالذهب في خرابة الدار القديم. فهرع العشرات من أبناء قريتنا ومن القرى المجاورة لنبش أرض الدار المتهدم وجدرانه وأساساته. من قبل لم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه؛ فالكل يعتقد أنه مسكون من قبل الجن. لكنهم بعد شائعة الكنز تناسوا كل ما سبق وحفروا في كل شبر منه منذ الظهر حتى انتصف الليل دون أن يجدوا أي شيء.

تحول المكان إلى ما يشبه المهرجان. فذهب الكثير من الناس للفرجة وتجمع عشرات الأطفال حتى كبار السن جاءوا يمشون على عصيهم، لعل وعسى يظفرون بشيء من الكنز! .. **حاولت الذهاب لكن الوالد حذرني:**

– الدار قديم، وفيه العفاريت والعقارب والثعابين وحجارة متراخية قد تسقط فوق رأسك وتموت.

أحجمت عن الذهاب. وفي المساء كنا بسطح منزلنا نتفرج من بعيد على الخرابة التي تحولت إلى احتفالية غريبة من الأضواء والأصوات. يذهب أشخاص ويأتي آخرون على ضوء القناديل حتى انسحب آخر ضوء، وهدأ آخر صوت.

في اليوم التالي، غصَّ منزل الحاج نعمان بالناس من الشيخ إلى أبسط رعوي. والكل يريد نصيبه من الذهب، والحاج يقسم الأيمان المغلظة أنه ما وجد حتى بقشة وأن الأمر كله كذب في كذب، وأنه ما قد دخل الدار القديم طيلة حياته ومع هذا فلم يصدقه أحد!

كنت ما زلت أغط في نوم عميق، عندما صحوت مذعورًا على طرقات عنيفة على باب منزلنا، **أشعلت الفانوس ومضيت إلى الباب:**

– من؟

– الحاج نعمان يا ابني .. افتح.

فتحت الباب. فدخل الحاج نعمان معتذرًا عن إزعاجي في هذا الوقت. نظرت إلى الساعة، فوجدت أنها الثالثة فجرًا. فأصبت بقلق بالغ وقبل أن أسأله عما حدث **هتف بي متضرعًا:**

– شوف لي حلًا يا ابني.

قلت مستغربًا:

– أنا أشوف لك حل؟!

انطلق يتحدث:

– شوف لي حلًا كيف أفعل؟ الناس شغلوني، والشيخ يهددني بأن يبلغ الدولة عني إذا لم أخرج الكنز والعيون صارت علي و...

قاطعته:

– حاج نعمان قل بصراحة هل فيه كنز أم لا؟!

أقسم لي الأيمان المغلظة بأنه لا يوجد كنز ولا شيء، وأنها شائعة لا يدري من أطلقها؛ وأنه بسبب هذه الشائعة قد دخل في ورطة كبيرة. فإذا جاءت لجنة من الحكومة والعسكر فسوف ينتهي تمامًا وسيبيع مواشيه وقد يبيع منزله. وهو يذبح الذبائح ويقيم الموائد ويشتري القات للناس ويدفع الأجرة للجنة الحكومة.

شعرت فعلًا بأن الحاج في ورطة كبيرة بسبب هذه الشائعة الكاذبة، ورطة أطارت نومه وتهدد وجوده. كنت عاجزًا عن إنقاذه؛ فأنا في النهاية مدرس ولا حول لي ولا قوة ولكني فكرت في حل وقد وجدته.

– حاج ما لهذه الشائعة إلا شائعة أكبر منها.

هز رأسه. فأدركت أنه لم يفهم فأوضحت:

– إذا أردت أن يتركك الناس في حالك؛ لا بد أن نفتعل شائعة أكبر، ونشيع خبر كارثة نفتعله. فينشغل الناس بالخبر الجديد عن شائعة الكنز.

وافقني الرأي ورأيت وجهه قد بدأ يضيء. فأشرت عليه بأن يتحرك فورًا ويأتيني بأربعة من الأشخاص ممن يثق فيهم وبسرعة. غادر الحاج مسرعًا وبقيت أذرع الغرفة واجمًا، أفكر بتفاصيل الخطة التي سنضطر لتنفيذها لننقذ الحاج.

ولـم تمـضِ سـوى سـاعة حتـى جـاء الحـاج، ومعـه الأربعـة الأشـخاص. أوضحت لهم أبعاد مأساة الحاج نعمان بسبب هذه الشائعة، وكيف أن الكل يريد أن يبتزه وينهبه بذريعة كنز لا وجود له. وأكدت لهم ضرورة تنفيذ الخطة والكذب على الناس لإنقاذ أسرة. ثم وجهتهم بأن يمضي كل شخص منهم بما فيهم الحاج نعمان إلى مكان محدد في العراء. وفي الجبال في الجهات الأربع وبعد صلاة الفجر يصرخ كل واحد ويقول بأن هناك حملًا[1] أطاح به من سطح منزله إلى ذلك المكان، وأنه عاجز عن الحركة. وسوف أتحرك بدوري في أوساط الناس وأشيع بأن هذا الحمل قد ظهر، وأنه يخطف الناس من أسطح المنازل ويرميهم في العراء وقد يأخذهم إلى مكان بعيد، ويفقأ أعينهم فينشغل الناس بهذه الشائعة ويتركون الحاج في حاله.

وبالفعل، صليت في المسجد. وبعد الصلاة سمعنا الصراخ من كل ناحية. فهرعنا وهرع الناس من كل مكان فأسرعت أشيع في الناس بأن هذا هو الحمل وأنه قد ظهر. وانتشر الخبر في كل أنحاء القرية والقرى المجاورة وصار حديث الناس حتى أن الشيخ نفسه نسي حكاية الكنز، وصار يدور في كل القرى محذرًا الناس من النوم في أسطح المنازل، كان ينادي بكل صوته محذرًا من الحمل الذي ظهر .. وأنا والحاج نعمان نكاد نموت من الضحك!

❀ ❀ ❀

(1) **الحمل**: كائن خرافي كان الناس قديما يعتقدون بوجوده.

أكاذيب رائجة!

حين قدمتُ إلى صنعاء منتصف التسعينيات، كنت صغيراً وأخي يخاف أن أضيع، ولذا كنت لا أذهب إلى أي مكان إلا برفقته. ثم بدأت أخرج للأماكن القريبة وأعود، وبدأت أحفظ عنوان السكن وأخرج إلى ميدان التحرير أتفرج على الباعة وهم يعرضون كل شيء للبيع. التقطتُ لي صوراً وعلى كتفي صقر وخلفي دبابة التحرير التي اختفت مؤخراً، ولا أدري أين ذهبت تلك الصور؟!

وعلى الرصيف المقابل، كانت تجلس امرأة تفرش خرقة بها أصداف وودع، في البداية ظننت أنها تبيع تلك الأصداف البحرية، لكنني فوجئت بأن الناس يأتون إليها فتخلط تلك الودع والأصداف، ثم تتأمل فيها وتخبرهم بأشياء ستحدث لهم فيعطونها نقوداً ويمضون!

في ذلك الصباح، بعد أن أكلت أربعة أقراص من فطائر الخمير وشربت الشاي بالحليب، اشتريت مجلة قديمة وذهبت إلى مكان قريب من تلك المرأة، جلست على البلكة التي يتكئ عليها بائع الساعات الذي لم يأتِ. لقد دفعني الفضول للتنصت عليها ومعرفة ما تقوله للناس حتى يعطوها نقودهم ويمضون؟ .. أقلب صفحات المجلة وأتظاهر أنني أقرأ بينما كنت أصغي السمع لما تقوله.

في البداية اقترب منها أحدهم بثياب أنيقة ومظهر فاخر. لو رأيته لقلت: من المؤكد أن هذا أستاذٌ في الجامعة أو مديرٌ لمنظمة مرموقة الشأن. قلتُ في نفسي: لقد وقعت هذه المرأة في شر أعمالها، الآن سيلقنها درسًا لن تنساه، وسيطردها من هذا المكان الذي تجلس فيه للنصب على الناس.

اقترب الرجل بهدوء وألقى عليها تحية الصباح، ثم أخرج من جيبه عدة أوراق نقدية وناولها. دست النقود في حجرها وخلطت الودع والأصداف ثم **قالت له:**

– أنت تنتظر ترقية في العمل لكن هناك من يعرقلها..

قاطعها:

– أحمد عبد الصمد، ما فيش غيره.

تأملت صدفةً أخرى. **وقالت:**

– موعود بفلوس يا تسلم يا تستلم.

هز رأسه وصمت. فواصلت كلامها:

– عينك على واحدة في الشغل لكن...

ابتسم وتهلل وجهه وغمرته سعادة عجيبة؛ **فقال لها:**

– هل توافق لو تقدمت لها؟

عادت تتأمل الصدفة **وقالت:**

– ما تزال مترددة لكن لو تسكنها ببيت ملك خاص بها توافق.

هز رأسه موافقـًا فواصلت حديثها:

– قدامك سفر في مهمة عمل في المستقبل القريب لكن لا تسافر..

قاطعها:

– ولماذا؟ كفى الله الشر!

– ستتعرض لحادث لو سافرت.

– خلاص لن أسافر.

همَّ بالوقوف لكنها أمسكت صدفةً أخرى وقالت:

– زوجتك..

قاطعها:

– ما لها المرأة؟

– نفسها تشتري لها ذهبـًا من فترة وأنت توعدها وتماطل..

– إذا نجح المشروع الذي في بالي سأشتري لها اللي بنفسها.

غادر الرجل مسروراً كأنه نال للتو جائزة دولية! .. لم تمر دقائق حتى جاءت فتاة يبدو من مظهرها أنها طالبة جامعية، جلست إليها:

– كيف حالك يا خالة؟

– بخير يا ابنتي..

نظرت الفتاة يمنةً ويسرةً ثم همت أن تقول شيئًا لكنها ترددت. قالت المرأة:

– أعرف سؤالك من عيونك يا ابنتي وعندي الجواب.

خلطت الأصداف والودع ثم تأملت في الصدفة وقالت:

– الجواب أنه شاب حلو الكلام مليح القوام ويوعدك على الدوام بتحقيق الأماني والأحلام لكنه كذاب.

– كيف يا خالة؟

– زميلك بالجامعة، ابن ناس ويكتب لك جوابات تخليكِ ساهمة واجمة لكنه كذاب.

وأضافت:

– أهله خطبوا له قريبته في بلاده فلا تصدقيه، أما جوابه فأحرقيه.

– وقلبي الذي تعلق فيه؟

– قولي لقلبك ينسيه.

ترددت الفتاة ثم تنحنحت **وقالت:**

– شوفي يا خالة ما فيش حد غيره جاي؟

– مدي يدك للجيب وفرحي خالتك علشان ربنا يفرحك.

فتحت الفتاة حقيبتها وأعطتها رزمة من النقود. أخذت النقود وأخفتها في حجرها ثم خلطت الأصداف والودع وتأملت صدفةً وقالت:

– في واحد قريبك يتكلم عليكِ ويتمنى رضاكِ وأنتِ ولا تعبرينه..

– صحيح عبد الرحمن ابن خالي.

– نصيحتي لا تعبرينه.

قاطعتها بلهفة:

– وكيف يا خالة؟

– سيأتيك النصيب مهندس أو طبيب أو مغترب كثير المال ميسور الحال. هو من سيسعدك وعن الشقاء سيبعدك.

ثم اقتربت المرأة من الفتاة وهمست لها بكلام لم أسمعه. غادرت الفتاة وشرعت المرأة تجمع نقودها وتعدها ثم دستها في جيبها. حينها غادرت بدوري إلى البوفيه المجاورة وطلبت شايًا بالنعناع. أشرب الشاي وأراقبها من بعيد، وحين لم يأت أحد إليها أخرجت مسبحتها الطويلة وبقيت تمررها بيدها وهي شاردة.

عدت إلى جوارها. فمر ثلاثة من الشباب. فقال أحدهم:

– تعال يا مطوع خلها تشوف لك البخت.

إلا أن الشاب الملتحي جره قائلاً:

– أنت تصدق هذه المشعوذة؟!

صاحت المرأة:

– المشعوذة هي أمك يا ابن ....

وأمطرته بالشتائم والسباب المقذع. لم تتوقف إلا حين جلس إليها شاب كان مرتبكًا ويتصبب عرقًا كأن هناك من يطارده! .. سألها:

– كيف أعمل بأخي؟ يحاربنا عند أبي وعينه على خطيبتي؟!

سألته:

– أخوك مطوع صح؟

– أخي صايع ضايع.

خلطت الأصداف وتأملت إحداها **وقالت:**

– اضربْه..

قاطعها:

– كيف؟

– اضربْه مش تقتله، اضربْه وبعدها صالحه وصارحه وتعودان من الأحباب.

وأضافت:

– كل الطرق مغلقة أمامك، ما معك إلا هذا الحل المجرب. وما محبة إلا بعد عداوة.

نهض الشاب ليمضي فسألته:

– وحق المشورة؟

دس في يدها النقود وغادر سريعًا. وغادرت بدوري المكان. ومرت أعوام كثيرة ونسيت هذه القصة. حتى كنت أمرُّ قبل أيام في ذلك المكان فرأيتها ما تزال كما هي في مكانها المعتاد، تخلط الأصداف والودع ويأتي إليها الكثير من الناس!

ولي مع إيقاف التنفيذ!

اجتاحني حزنٌ عميقٌ عندما علمت بموت الطفل سمير جامل. لم يكن من أقاربي ولم أعرفه من قُرب، بل لم يسبق لي أن رأيته، لكنني أحسست بالندم الشديد وتأنيب الضمير، وأنني بشكلٍ أو بآخر قد تسببت بموته!

أما كيف حدث هذا الأمر الغريب سأروي لكم القصة:

كانت أمه صديقةً لأمي، حقولهم بجوار حقولنا وكثيراً ما يلتقيان ويتحدثان، بينما كنت بجوارهما أجري وألعب. وعندما كنت في الثانية عشرة من عمري سرت شائعةٌ في قريتنا والقرى المجاورة بأنني قد كُشف عني الحجاب، ورُزقت معرفة الأسرار، باختصار كنت بنظرهم من أولياء الله الصالحين الذين ينظرون بنور الله ويعلمون الغيب أيضًا!

ولأنه لا دخان من غير نارٍ فقد كنت أقرأ كل كتابٍ أراه، ومن ضمن ما قرأته كتاب "أبو معشر الفلكي"، وتعلمت من الكتاب معرفة الأبراج وقراءة الكف والطالع، وحساب الغالب والمغلوب، وربط القلوب بالمحبة، وبدأت أخبر أقاربي بأبراجهم وأقرأ لهم الكف، وأكتب الأحجبة والتمائم للأطفال، كنت أعبث لكنني فوجئت بأنهم يصدقون ما أقول فأعجبني الأمر. أتفرس في أكفهم ثم أضحك عليهم بالطريقة التي تعجبهم، ولأنني أعرفهم جيداً فقد كنت أخبرهم عما يحبون سماعه، وأستمع إليهم يتحدثون عن أنفسهم.

أمسك كف أحدهم ثم أشرُد إلى بعيد وأقول:

– أنت طيب القلب ونيتك خير.

فيرد على الفور:

– صحيح، والله إنني طيب جداً وأحب كل الناس.

أتأمل كف الفتاة وأخبرها:

– أنتِ إنسانة مظلومة، لا أحد يقدرك ويشيد بجهدك.

وعلى الفور تجهش بالبكاء! .. وبعد ساعة من البكاء تبدأ في كيل المديح لنفسها، والثناء على ذاتها وعلى جهودها التي لا يقدرها أحد ولا يشكرها، فيما أكتفي أنا بهز رأسي وموافقتها على ما تقول.

كنت باختصار أشبه بطبيب نفسي لأناس يعانون من حرمان عاطفي وسحق مزمن لذواتهم، تصوروا بعض البنات لم تسمع كلمة طيبة منذ عرفت نفسها!

رضية (أم سمير) كانت من ضمن النساء اللواتي جئن إليّ. مدت إليّ كفها البيضاء الناعمة، ثم بدأت تشكو من شجاراتها المتكررة مع زوجها، بعد أن استمعت إليها أخبرتها بكلام كثير عن طباعها ومستقبلها، لم أعد أذكر ما قلت لها حينها. لكن ما أذكره أنني قلت لها إن برجها لا يوافق برج زوجها؛ هي هوائية وهو ناري، وأنها لن تجد سعادتها إلا مع زوج آخر من غير أهلها، زوج يوافق برجُه برجَها وتنسجم طباعهم.

في اليوم الثاني ذهبت رضية إلى الشيخ والقاضي تشكو زوجها، وطلبت الخلع منه وتم طلاقها! .. لقد صدقتني بينما كنت أكذب عليها وأرضيها بأي كلام يخطر ببالي! .. بعد ذلك بدأ الشجار حول الطفل سمير ومن له حق حضانته، ثم تم الاتفاق على أن يظل الطفل عند جده، ويذهب إلى أمه متى ما أراد. لا بد أن الطفل قد تشرد وحرم من حنان أمه وصار الضحية لهذا الزواج الفاشل، بعد أشهر مرض الطفل ومات.

بقيت لأسابيع وأنا لا أنام الليل. تداهمني كوابيس مفزعة، أراني أنتزع الطفل من بين أحضان أمه وألقي به في هاوية سحيقة مظلمة، ثم أهوي وراءه. وأظل أبحث بين الصخور والأشواك حتى أجده. ثم أحمله على ظهري وأصعد به في طريق طويل ووعر.

حمل ثقيل يكاد يقصم ظهري، وهكذا أظل أحمله وأطوف به كل القرى والبيوت، أطلب من الناس مساعدتي لدفنه لكن الكل يدير ظهره لي! يزداد ثقله عليّ حتى أبرك على الأرض وهو على ظهري ثقيلٌ مثل الخشبة الكبيرة، ثم أصحو فزعًا وأصرخ فأوقظ الجميع، بعدها أظل مستيقظًا حتى الصباح! .. كنا في وقت الحصاد وجموع من النساء يحصدن الذرة في حقلنا عندما **سألت أمي**:

– كيف مات سمير بن رضية؟

أجابت بلا مبالاة:

– مرض ومات.

وفوجئت أمي باعترافي:

- أنا السبب في موته.

توقفت عن الحصاد، ورمت الشريم "المنجل" جانباً. **وأقبلت نحوي تسألني:**

- كيف أنت السبب في موته؟!

- لقد أخبرت أمه بأنها ستتزوج زوجاً آخر من غير أهلها فطلبت الطلاق من زوجها وتشرد الطفل ومرض ومات.

أكدت لي أمي أن "رضية" كانت قد قررت خلع زوجها من قبل أن تأتي إليَّ وأخبرتها بذلك، وأنهم بعد طلاقها تركوا الطفل عندها، فقط اشترطوا أن يذهب يوم الجمعة إلى بيت جده ويعود إليها، وأنه كان مدللاً جداً. وأقسمت لي بأنني لست السبب في موته لا من قريب ولا من بعيد، وأن الطلاق كان سيتم بشكل حتمي حتى لو نصحتها بأن تظل مع زوجها!

لم أطمئن لحديث أمي، ربما خافت عليَّ وأرادت أن تطمئنني وتزيل شكوكي، بقيت أسأل كل الناس عن موت الطفل حتى تأكدت أن لا صلة لي بما حدث له، حينها استراح ضميري واطمأنَّ قلبي، لقد زالت الكوابيس التي هاجمتني على مدى أسابيع ولأول مرة أنام باطمئنان.

بعد انتهاء عدتها تزوجت "رضية" بزوج من غير أهلها كما أخبرتها، بعدها ظلت تروج لأكاذيبي وتخبر الجميع أنني قد تنبأت لها بهذا الأمر وأن ما أقوله

هو الحقيقة، زادت جموع البنات اللواتي يأتين إليَّ وفي أذهانهن سؤال واحد: هل سيتزوجن أم لا؟!

لكنني كنت قررت ألَّا أقرأ الكف لأي فتاة، ولو أحرجتني أمي.

سقوط الولي!

خزان الماء في سقف البيت سعة 2000 لتر يكفينا لعشرة أيام، وحين نرشد استهلاك المياه فإنه يكفينا لـ 12 يومـاً. ولكنني هذه المرة فكرت وقدرت ثم قمت بحركة لم يخطر ببالي أنها ستقودني إلى أغرب قصة حدثت لي هذا العام! .. أثناء التفكير العميق فكرت وقدرت ثم قلت في نفسي: طالما الأمطار تهطل سأدع باب الخزان مفتوحاً، وبإذن الله سيمتلئ الخزان من ماء السماء.

مرت العشرة الأيام، والماء لم ينفد 11 يومـاً ثم 12 يومـاً وهكذا حتى وصلت إلى 22 يومـاً! .. لم أصدق ما حدث! .. يا الله ما أكرمك! .. لا شك بأن سحائب الغيث قد صبت في الخزان حتى امتلأ، وهذه كرامة إلهية تؤكد أنني من الأولياء الصالحين!

كنت فيما مضى أشك أنني وليٌّ من أولياء الله الصالحين؛ أما الآن فقد تأكد لي الأمر. لكني سأكتم سري ولن أخبر أحداً، وإذا أغضبني أحدهم سأدعو عليه وهو الجاني على نفسه وذنبه على جنبه؛ فمن المؤكد أن دعوة الولي لا تُرد.

ولأنني قد أحسست بأن صدري قد ضاق بسر الولاية والكرامات العجيبة التي حباني الله بها؛ فقد بحت بسري لزوجتي، وأوصيتها وشددت عليها وأكدت ألا تخبر أحداً! .. ولأن زوجتي كتومة وسري معها في بئر معطلة وقصر مشيد؛

فلم تمر إلا ساعة من نهار حتى علمت نساء العائلة والحارة والحارات المجاورة فقط بما حدث!

وكل واحدة توصي صاحبتها وتؤكد عليها وتشدد بأن تكتم السر وتضعه في بئر بعيدة وتنسى عنوانه تماماً؛ فهذا سر الولي الصالح محمد مصطفى العمراني! .. ولو أنني أبلغت الجزيرة، ورويترز، والسي إن إن، والبي بي سي؛ فلن ينتشر سري مثلما أبلغه لامرأة وأوصيها وأؤكد عليها بأن لا تخبر أحداً!

وبدأت أرى بيتنا يزدحم بالنساء، وبدأت زوجتي تأتي إليَّ في الديوان وتهمس:

فلانة جارتنا زوجها في السعودية له ثلاث سنين ما رجع.

- طيب وأنا ما أفعل لها؟!

- تدعي لها أن زوجها يروح.

- تمام. يا رب زوجها يروح الآن.

- زد ذلحين الثالثة.

- تمام الآن.

- ميمونة بنت عم صاحبتي سحر متزوجة من سبع سنوات ولا خلفت.

أسألها باستغراب:

- طيب وأنا ما أفعل لها؟! .. هل أنا طبيب عقم وأمراض نساء؟!

– يعني تعمل لها رقية ودعوة تفك عقدتها.

– يا سلام!

– قد أحرجتني وجابت فواكه وهدايا للعيال.

– حاضر سأدعو لها.

ولكثرة الطلبات والزائرين والزائرات صدقت بأنني ولي من أولياء الله الصالحين، وأنني مستجاب الدعوات. وفكرت أستثمر الدعوات، ثم تراجعت خشية أن يذهب الله بكرامتي وأن تنتهي ولايتي.

صباح اليوم وأنا خارج لِقِيَني جاري فتجاذبت معه أطراف الحديث، **فإذا به يقول:**

– هذه المرة الماء طال عندكم، صح؟

يبدو أنه قد علم بقصة الولاية والكرامة التي حباني الله بها، ويريدني أن أدعو له.

قلت له:

– نعم، هذا من فضل ربي وكرمه.

وأضفت:

– سحائب الكرم الإلهي أمطرت وملأت الخزان.

أبدى استغرابه **ثم قال**:

– هو أنا الذي ملأته؛ لأننا جئنا بشاحنة ماء كبيرة، وامتلأ الخزان عندنا، وناديت على صاحب الوايت بأن يوقف المولد الذي يرفع الماء للخزان لكنه لم يكن موجوداً، فوضعت قصبة الماء في خزانكم. لم يأتِ صاحب الوايت إلا وقد خزانكم مليء. ما شاء الله.

لقد أسقطني من سماء الولاية العالية، فارتبكت وعدت بشراً عادياً آكل الطعام وأمشي في الأسواق كأي بشر!

شكرته ثم مضيت وأنا أسأل الله ألا يعلم أحد بما حدث .. لقد قررت أن أكتم السر ولا أخبر زوجتي هذه المرة، لكنني أخبرتكم أنتم فقط، ورجاءً لا أحد يخبر زوجته.

بيت كادت تهدمه الخرافة

قبل أن نطفئ الأضواء في السكن لننام؛ فوجئنا بالأستاذ حامد عبد الغني يقتحم السكن ويضع أمامنا صندوقًا **قائلاً:**

– جئت بالمتفجرات التي سننسف بها ضريح الولي أحمد الشاذلي.

وفيما تجمدتُ من الرعب صرخ الأستاذ جابر:

– يا ليلة سوداء! دي متفجرات بجد؟ أنت جبتها من أين؟!

أجاب الأستاذ حامد بهدوء غريب:

– من عند العمال الذين يكسرون الأحجار للشيخ.

– أنت ناوي تفجر الضريح بجد وإلا بتهزر؟!

قال الأستاذ حامد؛ وكأنه يخطب في المنبر:

– الليلة سننسف الخرافة ونقضي على ضريح الشرك والشعوذة..

قاطعه الأستاذ جابر:

– أنت جننت رسمي وإحنا مش موافقين على اللي تعمله.

وأضاف:

– أنا هروح أبلغ الشيخ حالاً. دي جريمة.

ولما رأى حامد رفضنا لما يخطط له ضحك قائلاً:

– يا جماعة أنتم صدقتم؟ أنا جئت بالديناميت لأجل أن نكسر أحجاراً وأبني لي بيتًا.

وتنفسنا الصعداء واطمأنت قلوبنا بعد أن هجم علينا الهم. فحامد زميلنا بالمدرسة وقد اختلف مع والده مراراً بسبب الضريح الذي يقوم عليه ويجني منه أموالاً طائلة، إضافة إلى قوارير السمن والعسل والشموع وغيرها من النذور.

قال الأستاذ جابر:

– طب شيل البلوة دي من هنا أحسن تتفجر فينا، أنا لسه عايز أرجع مصر وأتجوز.

وفوجئنا بالأستاذ حامد يغادر السكن تاركًا خلفه صندوق المتفجرات! .. خرجنا نبحث عنه لكنه اختفى كأنه تبخر!

قال الأستاذ جابر:

– أنا مستحيل أبقى هنا مع الكارثة دي. مش هيجي لي نوم.

فعلاً إنها مشكلة ورطنا بها حامد ومضى. ونهضنا وذهبنا للشيخ وأخبرناه فأرسل معنا أولاده، أخذوا الديناميت وأزاحوا عن كاهلنا جبلاً من الهموم. ثم نمنا بسلام. وفي اليوم الثاني جاء حامد يبحث عن الديناميت فأخبرناه أننا سلمناه للشيخ. **وشرع حامد يعاتبنا لكن الأستاذ جابر قاطعه:**

– اسمع يا حامد إحنا هنا غرباء ومش عايزين مشاكل.

وأضاف:

– عايز ديناميت، عايز بلاء أزرق خذه بعيداً عنا.

وصمت حامد ومضى. ومرت أسابيع، وفُوجئنا بحامد يطرق بابنا ويأتي بصندوق جديد من الديناميت. **صرخ الأستاذ جابر:**

– تاني جبت المتفجرات دي؟ أنت ناوي تفجر فينا وإلا إيه؟!

ونصحه جابر. وطالبه بمعالجة أموره مع والده بالحسنى وبالنصح الهادئ والموعظة الحسنة. فلم يعجبه كلام جابر فأخذ الصندوق ومضى. **تنهد الأستاذ جابر قائلاً:**

– الله يهديك يا حامد، سيبت مفاصلي.

بدأنا نكتحل بالنوم حين طُرق الباب. **نهض الأستاذ جابر قائلاً:**

– هي ليلةٌ مش هتعدي على خير، أنا عارف.

جاء شقيق حامد وعلى وجهه الرعب قائلاً:

– حامد يجهز ليفجر الضريح والوالد يحاول منعه.

أسرعنا إلى حامد وأوقفناه عن تفجير الضريح. كان حامد قد تشاجر مع والده بخصوص الضريح، ونصحه بأن يغلق مقام الولي الشاذلي، لكن والده رفض كل النصائح، وأصر على أن يظل القائم على الضريح، وأن يكتب للناس

التمائم والحروز ويمارس الشعوذة، فيما الابن -وهو المدرس المتعلم- رفض كل ما يفعله والده وهدده بتفجير الضريح.

في المرة الأولى/ حين أدرك أننا سنبلغ الشيخ ونفشل خطته، كذب علينا وأخبرنا بأنه يريد بالديناميت أن يكسر الأحجار ليبني له بيتًا. وحين غادر السكن ذهب إلى مكان الضريح وحفر تحته واستعد للتفجير، وقبل أن يكمل الحفر تنبه والده للأمر حين رآه على ضوء القمر يحفر أسفل الضريح فأسرع ليمنعه.

لكن حامدًا رفض، وحين وصلنا وأخذنا المتفجرات وسلمناها للشيخ، أخذنا حامدًا معنا، ونصحناه أن يبدأ بتوعية الناس، وأن يبدأ بهدم الضريح من عقولهم وقلوبهم، أما أن يقوم بتفجيره هكذا فهذا سيدفع الناس للتعلق به وبناء ضريح أكبر من السابق.

بعد أشهر من التوعية والنصائح، ذهب حامد ذات ليلة مع مجموعة كبيرة من العمال الذين أزالوا الضريح بهدوء. لقد فككوا الأحجار وأخذوها بعيداً. ونسي الناس في تلك القرية الضريح وقصته. وغمرتنا السعادة لأننا استطعنا أن نحل المشكلة بهدوء، وأن ننقذ أسرةً كادت تهدمها الخرافة.

العالق في البرج!

اختطف زميلي نعمان عبد الكريم الصحيفة من يدي، وأسرع يقرأ المكتوب في برجه "برج الميزان". وفجأةً اسودَّ وجهه وتعكر مزاجه! .. ناولني الجريدة بهدوء فأدركت أن المكتوب لم يكن على هواه. دخلنا قاعة الدراسة في الجامعة فظل شارداً حزينـًا كأن جبلاً من الهموم قد وقع عليه!

أكملنا الدراسة وغادرنا القاعة وهو لا يزال يطحنه الهم. سألته:

– ماذا حدث يا نعمان؟

– قرأت في الصحيفة في برجي أنني سأتعرض لصدمة عاطفية، وسأعيش في ظروف صعبة!

سألته مستغربـًا:

– وأنت صدقت؟!

– أنا أتفاءل بما أقرأه في برجي.

– يا أخي ادعُ الله أن ييسر الأمور ويجنبك الشرور ويرزقك تجارة لن تبور.
ضحك ساخراً:

– أنت رايق ومرتاح وأنا أعيش هذه الظروف الصعبة والصدمة العاطفية؟!

ولأنه مفلس وقد تشاجر مع خطيبته قبل أيام فقد صدق ما قرأه وأيقن بأنه في ظروف صعبة فعلاً! .. حاولت تهدئته وتسليته؛ حيث حولت مجرى الحديث إلى شأن آخر ودخلت معه في جدال لينسى ما قرأه وعكَّر مزاجه.

غادرنا الجامعة وتناولنا الغداء وذهبنا للمقيل وهو لا يزال قلقاً متوتراً، وفشلت في إبعاد هذا القلق والتوتر عنه. مررنا على كشك الصحف واشتريت صحيفة أخرى ومجلات، وقد فوجئت وأنا أتصفح مجلة "العربي" بأن صديقي قد فاز في مسابقة المجلة بـ 100 دينار كويتي. وصرخت:

– نعمان، معي لك بشارة، لكن 30٪ من نصيبي، موافق؟

قال ببرود:

– ما هي البشارة؟

– فزت بمسابقة مجلة العربي.

– لو سمحت، لا تمزح معي.

أريته المجلة وفيها اسمه فتهلل وجهه، ثم سألني:

– يعني كم صرفها يمني؟

– المائة دينار كويتي بألف ريال سعودي.

– أسألك بالله؟

– اسأل أي صراف.

غادر المقيل على عجل، وبعد نصف ساعة عاد **وهو يقول:**

– فعلاً، المائة دينار بألف سعودي، يعني بـ57 ألف ريال.

وكان حينها هذا المبلغ ثروة كبيرة بالنسبة لطالب في الجامعة. كنت يومها تعيش مَلِكًا طيلة الشهر، ولا يتجاوز ما تصرفه عشرين ألف ريال يمني.

في المساء خرجنا نتمشى، فرأى نعمان امرأة قد فرشت بتلك الودع والقواقع، تقرأ الطالع للناس بخمسين ريالاً. اتجه نحوها فجذبته من يده:

– هذه مشعوذة ستبيعك الوهم بخمسين ريالاً.

وأضفت:

– سنتعشى بالخمسين ريالاً أفضل من تقديمها للمشعوذة.

لكنه كان منجذبًا نحوها كالسهم. جلس قبالتها فسألته:

– ما اسمك؟

– نعمان.

– ما اسم أمك؟

– صفية.

خلطت تلك القواقع والصدف ببعضها، ثم نظرت فيها بتركيز. **وقالت:**

– لديك مشاكل مع زوجتك، وخلافات مع شريكك في التجارة، ستتسلم

مبلغـًا من النقود وتسلم مبلغـًا لشخص ينتظره بصبر.

كتمت ضحكة كادت تخرج غصبـًا عني. أضافت:

– أنـت طيـب وقلبـك أبـيض وقريبـًا سـتذهب للحـج والعمـرة وتـزور مكـة والمدينة.

ناولها النقود، فرمتها قائلة:

– خمسون ريالاً إذا أردت أن يصلح الله أمورك.

طارت الخمسون ريالاً. حين مضينا قلت:

– كنت ستصالح زوجتك بهدية بخمسين ريالاً بدلاً من تقديمها للمشعوذة!

وضحكنا. قلت له:

– هي صدقت في حاجة واحدة.

– ما هي؟

– حين قالت إنك ستسلم مبلغـًا لشخص ينتظره بصبر.

هز رأسه إشارة بأنه لم يفهم. وضحت له:

– يعني ستسلم لي مبلغـًا من قيمة الجائزة أنا أنتظره بصبر منذ أشهر.

وضحكنا مجدداً. وعدنا نمشي على الأقدام فلم يكن في جيوبنـا حتى ثمـن كعكـة، مضـينا لمسـافة. فـرنَّ هـاتف زميلـي وإذا بـه يتلقـى اتصـالاً مـن عمـه

بالسعودية، وبعد حديث لنصف ساعة أبلغه بأن لديه حوالة منه لدعمه في الدراسة، ألف ريال سعودي عند ولده فشكره ودعا له. وتوجهنا إلى منزل عمه لاستلام النقود.

في الطريق قلت له:

– حصلت على ألفي ريال سعودي في يوم واحد، إذن أنت تعيش في ظروف صعبة جداً!

وحين تسلم النقود تهلل وجهه بفرحة نادرة، لقد حصل على 114 ألف ريال في يوم واحد، وهو أكبر مبلغ حصل عليه طيلة حياته! .. في صباح اليوم التالي قرأت ما هو مكتوب في برجه وضحكت. ناولته الصحيفة:

– هل تريد قراءة برجك؟

طوح بها بعيداً وهو يضحك:

– ضحكوا علي طيلة سنوات، كنت أفرح وأحزن وأبكي وأضحك بسبب ما يكتب في برجي.

حين خرجنا في مساء اليوم التالي نتمشى؛ وجدنا في ميدان التحرير مجموعة من الشباب يتحلقون حول رجل عجوز في رقبته مسابح طويلة، يقرأ الكف، اندفع نحوه نعمان كالسهم ومد يده إليه:

– أنت إنسان طيب وعلى نياتك، متفوق في الدراسة سيرزقك مزرعة كبيرة

ومنحل عسل، وستصبح من الحكام والمسؤولين، ستحج بيت الله الحرام وتنال رضا الوالدين وطاعة أولادك. برجك الثور وطريقك نور وحياتك كلها سرور. هات 100 ريال.

صرخ نعمان:

- برجي الثور أو الميزان تأكد يا حاج؟

- برجك الثور قول وشور.

التفت إليَّ نعمان وهو في غاية العجب:

- يعني لي سنوات أقرأ برج الميزان وأنا ثور؟!

- أنت ثور فعلاً. هيا تحرك.

وبدلاً من أن يقلع صديقي عن قراءة الأبراج؛ عاد من اليوم التالي يقرأ، ولكن في برج الثور!

البطل الذي اختفى!

ما إن أسمع صوت الكرة تطنُّ في ملعب المدرسة؛ حتى أترك كل ما بيدي وأجري إلى الميدان المليء بالحصى والأحجار. ورغم أنهم يستبعدونني من اللعب لصغر سني إلا أن ذلك لم يمنع هوسي بالكرة!

أذهب إلى الأستاذ السوداني "ضوء الفانوس"، فيخرج منديله الأبيض من جيبه ثم يطويه في راحة يده ثم يضعه في صدره. ويرفع يده ومن كمه الواسع تطير حمامات وعصافير؛ فأتجمد من الدهشة فيمسك حمامة ويسلمني إياها أحملها وأجري إلى أمي طالبًا منها أن تصنع لي قفصًا للحمام وبيتًا في السقف. أصل إليها وأنا ألهث أناولها الحمامة تضعها في القفص لكن الحمامة تختفي بعد ذلك!

وانتشر خبر الألعاب السحرية التي يقوم بها الأستاذ ضوء الفانوس والحمام والعصافير التي تنطلق من كمه إذا أراد. وبدأ الأطفال يتوافدون في المساء على سكن الأستاذ فيقسمنا إلى مجموعات:

– أنتم تأتون بماء الشرب من عين الجبل. وأنتم تأتون بالفول وبطاريات الراديو من الدكان. أنتم عليكم الخبز من البيت. أنتم مهمتكم نظافة السكن.

كان يوزعنا إلى مجموعات. وعندما نعود ونجتمع يخرج المنديل ثم يخفيه

براحته. ويدخل يده في صدره ومن كمه الواسع تنطلق الطيور والحمام، وسط دهشتنا وتعجبنا فيعود كل واحد منا بحمامة أو عصفور ما يلبث أن يختفي!

ولأنها قريةٌ تبيتُ فيها الشائعةُ كعصفورٍ مهيضِ الجناحِ، وتصبحُ كنسرٍ بحجمٍ أسطوريٍ يخطفُ الأطفالَ؛ فقد بالغَ كثيرٌ من أهلِ القريةِ في الحيلِ والألعابِ السحريةِ التي يقومُ بها الأستاذُ، حتى **أنني رأيتُ جارَنا يهمسُ في أذنِ عمي فينتفضُ صارخًا:**

– كلُّ شيءٍ إلا هذا. ستضيعُ كرامتُنا نحنُ الرجالَ!

فيضحكُ جارُنا وهو يقولُ:

– يقولون إنه يجعلكَ تنامُ بجوارِ زوجتِكَ مثلَ المعزةِ لا تحرِّكُ ساكنًا.

يضربُ عمي على صدرِهِ قائلاً:

– أبوكَ يا الولد، هذا ساحرٌ خطيرٌ، لا بدَّ أن نتقيَ شرَّهُ.

ويذهبُ الرجالُ إلى الأستاذِ ضوءِ الفانوسِ في السكنِ، وكلَّ يومٍ يدعونَهُ إلى منزلٍ، وكلَّ يومٍ ذبيحةٌ، وهو في كلِّ يومٍ ضيفٌ كبيرٌ، والجميعُ يخدمونَهُ!

وحين كنا نلعبُ سألني أحمدُ زميلي:

– يقولون إنَّ الأستاذَ إذا غضبَ منك يحوِّلُكَ إلى قردٍ.

وأضافَ:

– أنا خائفٌ لأني لم أكتبِ الواجبَ، وإذا غضبَ عليَّ وحوَّلني إلى قردٍ،

عبده أخي سيطردني من البيتِ وسأبيتُ في الجبلِ مع القرودِ..

كان يرتعدُ من الخوفِ وما لبثَ أن أجهشَ بالبكاءِ، ثم تركَ اللعبَ وذهبَ إلى بيتِهم ليكتبَ الواجبَ. وهجمَ عليَّ الخوفُ لكنني قلتُ في نفسي: لن يحوِّلني الأستاذُ إلى قردٍ لأنَّ عمي صديقُهُ وقد علَّمهُ يمضغُ القاتَ، وهو يقطفُ له كلَّ يومٍ حُزمَ القاتِ الفاخرَ من مزرعتِنا.

واحتياطا كتبت الواجب بخط جميل، وقصصت أظافري ونظفت شعري واجتهدت في دروسي. في الفصل فوجئت بأحمد هزاع يقسم الأيمان المغلظة أنني أخذت قلمه، ولم يتوقف الأمر عند هذا بل ذهب يشكوني إلى الأستاذ. وقلت في نفسي: ماذا لو غضب الأستاذ مني وحولني أمام الطلاب إلى قرد .. فضيحة.

وجاء الأستاذ ونظر إليّ نظرةً تمنيت أنني مت قبلها، وكنت نسيًا منسيًا. **ثم سألني:**

– أخذت قلمه يا زول؟

– والله ما أخذت قلمه فتشني.

وفتش الأستاذ حقيبتي وجيوبي فلم يجد القلم. فمد يده إلى شعر رأسه، **وناوله قلمًا قائلًا:**

– محمد زول ما يكذب.

ومضى. ونجوت من غضب الأستاذ الذي كان سيحولني قردًا وأصبح أضحوكة للطلاب. لقد انزاح عن كاهلي هم بحجم الجبل. كان الأستاذ هو محور اهتمام الناس. وحوله يلتئم المقيل وهو في نشوة القات يروي بطولات وقصصًا أشبه بالأساطير عاشها في السودان. **يقول:**

– يا ناس والله أنا مرة كنت مجند في الجيش السوداني وكنت بقود الدبابة. ولما جيت أعبر بيها نهر النيل الأزرق خفت تغرق فربطتها بحبل متين. وسبحت للجهة الثانية وبعدين سحبتها لحد ما أخرجتها من الجهة الثانية!

يهلل كل من في المقيل ويكبرون دهشةً وإعجابًا بما صنع. **فيقول:**

– ومرة لما كنت مجند بالجيش أقمنا معسكرنا في بحر الغزال في حتة مقطوعة. وفي الليل كانت نوبة حراستي .. وفجأة يا زول لمحت قطيع من الوحوش تحوم حول المعسكر وفكرت أيقظ القائد لكنني قلت: والله ما أيقظ زول واحد. وكمنت للوحوش، وكنت بزحف على الأرض حتى أقترب من الوحش وأطعنه في قلبه فيسقط مباشرة. ولما طلع النهار وقام العسكر وجدوا سبعة وحوش قتلتهم بالخنجر ما صدقوا أننا قتلتهم وحدي. لكن لما شهد لي الجميع أعطوني وسام الشجاعة من الدرجة الأولى.

وصار الأستاذ وقصصه وبطولاته حديث الناس في قريتنا. في تلك الأثناء، وقد اقترب موسم الحصاد شكا الكثير من الفلاحين من هجوم الوحش على مزارعهم، بل لقد تجرأ الطاهش، وهجم على حوش غنم وأكل خروفًا وعقر

الأخرى. وحينها فزع الناس إلى الأستاذ الذي ضرب لهم صدره كبطل أسطوري، ووعدهم بأن يأتي بالوحش ويربطه بسلسلة على الشجرة التي قرب المدرسة!

ولما شاهد بعض الرعاة المغارة التي يدخل فيها الوحش بالجبل ذهب الناس إلى الأستاذ ضوء الفانوس، وأخبروه بمكان الوحش. فوعدهم أن يذهب صباح اليوم التالي إلى المغارة ويمسك بالوحش ويأتي به حيًا.

وفي صباح ذلك اليوم الموعود ذهبنا إلى المدرسة فكانت المفاجأة التي لم تكن تخطر لنا على بال. لقد رحل الأستاذ ضوء الفانوس ولم نعثر له على أثر!

استثمار الأموات!

كنت أستعد للخروج، حين توقفت سيارة فارهة أمام منزلي، وسمعت أحدهم يسأل حارس العمارة المجاورة:

- تعرف بيت محمد العمراني؟

فيجيبه بالنفي. فيصر الرجل:

- قالوا ساكن هنا.

توجست وداهمتني هواجس شتى. فمن هو هذا الشخص الذي يسأل عني؟ وماذا يريد مني؟! .. أسرعت إلى النافذة أراقب من خلف الزجاج ما يحدث. كانت السيارة مليئة بالهدايا ومن نوافذها رأيت كبشًا سمينًا وصناديق من الفاكهة والسائق وعدة أشخاص.

قررت النزول ومعرفة ماذا يريدون؟! .. سلمت عليهم وعرفتهم بنفسي فنزل الرجل وصافحني بحرارة وكذلك فعل البقية:

- نحن ضيوفك يا أستاذ محمد.

ولأنني لا أعرفهم؛ فقد ارتبكت تمامًا. ثم رحبت بهم، وفتحت لهم منزلي فأدخلوا الكبش وصناديق الفاكهة. ودهش الأطفال والزوجة من هؤلاء

الضيوف الغرباء الذين جاءوا فجأة فقلت لهم:

– هؤلاء أصحابي من البلاد جاءوا لزيارتي عندما علموا أنني مرضت.

وما إن أستقر الرجل في صدر الديوان وجلس من معه؛ حتى صاح بولده:

– خذ الكبش إلى أقرب جزار واذبحه وهات اللحم صافيًا لا تتعب الأستاذ.

ثم عرفني بنفسه:

– أنا حسن عطا الله مقبول من قرائك ومحبيك. أنا من تعز لكني أسكن في تهامة.

– يا أهلًا وسهلًا يا شيخ.

قلت له، والفضول ما يزال يأكلني:

– بصراحة أنا أول مرة يزورني قراء في منزلي. أنتم شرفتمونني.

وفوجئت به يقوم من مجلسه ويحتضنني ويقبل رأسي. وأنا أحاول إبعاده **إلا أنه أصر قائلًا:**

– هذا نذر عليّ أنا أقسمت أن أزورك وأقبل رأسك.

وحين رأى استغرابي مما يفعله معي؛ **قال:**

– يا أستاذ محمد أنت صاحب أفضال عليّ من حيث لا تعلم!

وأضاف:

– أنا أقرأ قصصك وأضحك حتى صرت من مريديك، وأقسمت أن أزورك إلى منزلك وأقبل رأسك.

ولم أقتنع بما يقوله. فليس من المعقول أن يأتي أحدهم إلي بكل هذه الهدايا الكثيرة وحزم القات الفاخر والكبش الذي لم أرَ مثله لمجرد أنه من قراء قصصي!

وتساءلت بيني وبين نفسي: هل يريدني أن أنشر له في وسائل الإعلام عن قضية من القضايا؟ مش ممكن يكون يريدني أن أنقح له كتابًا وأنشره؟ مؤكد أن هناك سرًا لكن ما هو هذا السر؟ معقول يكون زارني بدافع حبه لقصصي وما أكتبه؟!

صلينا الظهر ثم تناولنا الغداء. وجلسنا في المقيل نتحدث عن قضايا شتي والفضول يكاد يقتلني لمعرفة السبب الحقيقي لزيارته. ومضى الوقت سريعًا. وبعد المغرب أصر على أن يغادر لأنه سيبيت عند أحد أقاربه في صنعاء، ثم يعود في اليوم التالي إلى البلاد.

وقلت في نفسي: إذا مضى دون أن يخبرني بالسبب الحقيقي لزيارته فلن أستطيع النوم، وسأظل أفكر وأضرب أخماسًا في أسداس حتى أعرف السبب .. مش معقول يكون زارني لأجل قصصي وكتاباتي فحسب.

وحاولت أستوقفه وأسأله هل يريد شيئًا؟ وهل في نفسه شيء؟ إلا أنه

ودعني وذهب. ومرت أيام وأنا في حيرة من سبب زيارته لي؛ حتى قررت أن أتصل به وأسأله بكل صراحة. **واتصلت به وسألته فإذا يه يقول:**

– تذكر يا أستاذ محمد القصة التي نشرتها عن أحد الأشخاص في قرية مجاورة لقريتكم؛ والذي قام بعمل أضواء في الليل في أحد أضرحة الأولياء. فلما رأى الناس تلك الأضواء الغريبة تشع من الضريح؛ أقبلوا عليه بالنذور وعلب السمن والعسل ورزم النقود وأوقفوا باسمه الأراضي الشاسعة؟

– نعم أذكر القصة وأنا كتبتها للتحذير من الخرافات والنصب باسم الأولياء وأضرحتهم..

– لكنني استفدت منها بطريقتي الخاصة وجددت ضريح الولي سلطان الدين الأهدل والذي يقع قرب قريتنا، وعملت فيه الأضواء .. فأقبل الناس من كل حدب وصوب يطلبون حاجتهم من الرجل الصالح، ويضعون له النذور والسمن والعسل والشموع والنقود، وقريبًا سنتطور إن شاء الله ونضع له وقفيات وأراضي.

قاطعته:

– أنت تمزح صح؟

– كيف أمزح؟ هذا رزق ساقه الله إليّ .. أرفس النعمة برجلي وأغلق باب رزقي بيدي وأروح أغترب في الرياض أو تبوك؟!

– بس هذا دجل وشعوذة ونصب..

- ولا دجل ولا حاجة هم جاءوا بإرادتهم ولم نجبر أحدًا منهم.

- أسألك بالله أنك تتكلم من جد؟!

قاطعني:

- يا أستاذ محمد أسألك بالله لا تعكنن علي..

ثم انقطع الاتصال والتواصل! .. بعد عام ونصف خرجت من أحد مطاعم مدينة إب وإذا بمجنون يتبعني ويصيح:

- يا أستاذ هات ألف اتغدى.

لم أعره أي اهتمام، وإذا به ينادي:

- يا أستاذ محمد ما عرفتني.

توقفت مكاني ونظرت إليه. حاولت التعرف عليه لكني لم أعرفه! .. اقترب مني مصافحًا. كان في غاية السوء. ثيابه رثة ومنظره منفر، ورائحته كريهة .. لقد تذكرته .. حسن عطا الله. أخرجت من جيبي ثلاثة ألف ريال وناولته فأخذها وانصرف.

وكلما أتذكر قصته أتمنى أنه سمع نصيحتي.

أغرب مستشار!

فوجئت بالأستاذ عبد السلام يدعوني -أنا والأستاذ جابر- للذهاب معه ليخطب له زوجة. لقد فرحنا له ولم يخطر ببالنا أننا سنشهد أغرب خطوبة في حياتنا! .. لبسنا وتهندمنا وذهبنا معه برفقة والده وإخوانه إلى منزل عمه المستقبلي يحيى محفوظ. كان قد جس نبضهم ولمس موافقتهم، ولم يبقَ إلا الخطوبة الرسمية أمام الناس.

بعد العصر تنحنح والده قائلًا:

- صلوا على رسول الله يا جماعة.

صلينا على رسول الله. تنحنح مجددًا ثم قال:

- جئنا إلى منزلك أخي يحيى نتشرف بخطبة ابنتك مارية لولدنا الأستاذ عبد السلام.

وبدوره رحب يحيى محفوظ بنا وأشاد بالعريس وأخلاقه:

- الأستاذ عبد السلام مثل ولدي ولن أجد في مثل أخلاقه وطيب أصله.

قاطعه الأستاذ جابر:

- يبقى على بركة الله وألف مبارك للعرسان ثم قام يصافح الأستاذ عبد السلام ويهنئه وبدوري صافحته وباركت له وكذلك فعل إخوانه.

وعاد والد العروسة للحديث:

– يا جماعة الأستاذ ابننا والبنت بنتنا ونحن إن شاء الله أهل ولن نختلف.. ولكن...

ثم صمت. وصمتنا نحن بدورنا بانتظار ما سيقول. تململ في مجلسه **وغشيه العرق ثم قال:**

– مش عارف كيف أطرح عليكم الموضوع لأنكم لن تستوعبوا الأمر!

نظرنا لبعضنا فكلامه قد زادنا حيرة. وحينها لم أستطع الصبر **فقلت:**

– يا عم يحيى إذا كنت تريد زيادة في تكاليف العرس وتجهيز العروسة أو لك شروط فتكلم فأنتم ستصيرون أهلًا ونسبًا.

وزاد الأمر غموضًا حين قال:

– الموضوع مش موضوع تكاليف.

البنت بنتكم قدموا التكاليف التي تستطيعون عليها وعلي الباقي. وعدنا ننظر لبعضنا وقد غرقنا في الحيرة وكاد يقتلنا الفضول. نريد معرفة ماذا يريد؟! .. وصمت الجميع كأن على رأس كل منا طيرًا يخشى إن تحدث أن يطير!

وقطع صمتنا حديثه:

– فقط أريد أن أستشير الوالد في زواج مارية.

وفغر عبد السلام ووالده وإخوانه أفواههم دهشةً؛ كأنهم قد تحولوا إلى تماثيل متجمدة!

بينما أضاف العم يحيى:

– الوالد كان وهي صغيرة يحبها إلى درجة تفوق الوصف..

وقاطعه الأستاذ جابر:

– كان يحبها زمان، ليه هو الآن بيكرهها والا إيه؟!

وصعقنا جوابه:

– الوالد مات من 15 سنة .. الله يرحمه.

وصاح الأستاذ جابر:

– يا نهار أزرق. يا خبر زي بعضه.

ثم انفجر ضاحكًا وهو يسأله:

– أنت بتتكلم جد ولَّا بتهزر؟! أكيد بتهزر.

– لا والله أتكلم من جد.

وأضاف:

– أنا أصلًا ما معي إلا هذي البنت دلوعة العائلة وجدها كان يقول: لن أزوجك يا مارية إلا أنا. والآن لا بد أن أستشيره.

وسألني جابر هامسًا:

– هو أول مرة يمضغ القات دا ولّا إيه الحكاية؟!

– مش عارف.

ولم يستطع الأستاذ جابر الصبر **فسأله:**

– وهتستشيره إزاي وهو ميت؟! هتتصل بيه إزاي؟!

– سيأتيني في المنام.

– وافرض ما جاش.

سألته بدوري فأجاب بهدوء:

– سيأتي. الوالد عمره ما تأخر علي بالمشورة في أي قضية هامة.

قال الأستاذ جابر:

– أنا أول مرة أشوف راجل ميت ويشتغل مستشار!

وكتمنا ضحكتنا ثم ساد الصمت، كان الأستاذ عبد السلام قد غرق في تفكيره وشرد إلى بعيد.

– وحدووه.

قال الأستاذ جابر فرددنا:

– لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأضاف:

– يـا جماعـة إن شـاء الله العـم يحيـى يشـوف والـده الليـلادي ولا بكـرة ويستشيره ويوافق وربنا يتمم بخير.

غادرنا منزل يحيى محفوظ وعدنا وقد ألجمتنا الدهشة فالرجل صدمنا بطلبه الغريب.

قال عبد السلام:

– يا جماعة أنا حياتي الزوجية ملعقة بحلم!

وحاولت تطمينه:

– إن شاء الله يحلم ويوافق الشيبة وتمشي الأمور.

ودعنا الأستاذ عبد السلام وأقاربه. وعدنا إلى السكن. وفور وصولنا ارتمى الأستاذ جابر على سريره. وظل يضحك حتى دمعت عيناه. **ثم قال:**

– قلبي معك يا أستاذ عبد السلام هيعمل إيه لو الراجل دا لو ما شفش والده في المنام؟!

– وافرض شافه وما وافق على الزواج؟!

سألته:

– ايوه صحيح ما جايز المستشار الميت دا ما تعجبوش الجوازة دي.

ومضت أيام وأسابيع، وعبد السلام يزور العم يحيى ويسأله سؤالًا واحدًا:

- حلمت يا عمي والا لا؟!

وتأخر المستشار الميت في زيارة ولده لأشهر! كان الاستاذ عبد السلام قد نحل جسمه وتغير حاله وهو ينتظر الحلم. حينها لم أستطع مع الأستاذ جابر الصبر فقمنا ذات مساء بزيارة العم يحيى **وبعد سؤاله عن حاله سألناه:**

- هاه بشر يا عم يحيى قد جاء الحاج في المنام ولّا لا؟!

ضرب كفًا بكف، وهو يقول:

- أول مرة يتأخر علي الشيبة!

وأضاف:

- أنا خائف لا يكون زعلان مني.

ولم يستطع الأستاذ كتم ضحكته. **فقال وهو يضحك:**

- أكيد زعلان منك جدًا جدًا.

- ليش أنا عمري ما عصيته؟!

- إزاي وأنت أخرت الأستاذ والبنت عن الجوازة؟!

- ما هو أنا خايف أزوجهم ويجيني في المنام زعلان.

حاولنا بشتى الطرق والوسائل إقناع يحيى محفوظ بأن يعجل بالزواج.

لكنه رفض وأصر على استشارة والده المتوفي! .. أرسلنا أشخاصًا للوساطة ليحدد موعد الزواج لكنه تصلب على موقفه الغريب العجيب!

وبعد تفكير عميق وتشاور مع الأستاذ عبد السلام ووالده توصلنا إلى حل.

ذهبنا إلى منزل يحيى محفوظ وطلبنا منه الموافقة على أن يكون يوم الخميس القادم موعد العرس. وقد وافق بعد أن كتب له الأستاذ عبد السلام التزامًا خطيًا بأنه إذا رأى والده في الحلم وعارض الزواج أو رفضه فإنه سيتكفل بتكاليف الحج لعمه ليحج نيابة عن والده.

وهكذا تم تحديد يوم العرس وتم الزفاف في موعده. وبقينا بعد العرس ننتظر أن يأتينا يحيى محفوظ ويقول إن والده عارض أو رفض لكنه لم يأت!

يبدو أن المستشار الميت قد بارك ذلك الزواج.

الساعة المباركة

بعد أن انتشر صيتي في قريتنا والقرى المجاورة؛ بأنني من الأولياء المباركين، وأنني مستجاب الدعاء؛ فوجئت ذات ليلة بالعم علي قاسم يأتي إلينا بعد العشاء إلى البيت. استقبله عمي وتحدث معه. قدمنا العشاء. لكنه رفض أن يأكل. وفجأةً طلب أن يتحدث معي على انفراد.

خرج الجميع وتركوني معه فقال:

– غدًا عرس بنتي سندس.

– مبارك عليكم العرس وربنا يتمم بخير.

– لكني أريدك أن تفتح الكتاب وترى ما هو الوقت المناسب لكي نخرج العروسة.

فُوجئت بطلبه الغريب فارتبكت وتلعثمت ولم أدرِ كيف أفعل. وحينها أدخل يده في جيبه ودس في جيبي 200 ريال. كانت النقود جديدة حمراء، وكان هذا المبلغ في منتصف الثمانينيات ثروة كبيرة بالنسبة لطفل بعمري.

– أرجوك يا ابني لا أريد أن أخرج ابنتي في نجم لا يوفق نجمها.

نظرت إليه. أنا لم أتخيل يومًا أن العم علي بعمامته الكبيرة التي يزينها

بالمشقر سيأتي إليّ طالبًا مني أن أخبره متى تخرج ابنته العروسة! كانت نظراته كلها توسل ورجاء يقطع القلب ويذيب الصخر.

– ما اسم العروسة يا عم علي؟

– سندس.

– واسم امها؟

– حاكمة.

جعلت أعد بأصابعي وأحسب بالأرقام. كان هذا كله تمثيلًا لكي يقتنع. **وجعلت أحسب وأطيل التفكير ثم قلت له:**

– تخرجها وقت ظهور الثريا.

نظر إلي باستغراب قائلًا:

– أنا لا أعلم متى تظهر هذه الثريا.

أعدت الحساب من جديد. **ثم قلت له:**

– الساعة التاسعة بعد العشاء.

تهلل وجهه فرحًا؛ كأنه عثر على كنز فواصلت حديثي:

– لكن لا بد أن تقرأ عليها آية الكرسي والمعوذات قبل أن تخرج.

– حاضر أبشر.

ودسَّ في جيبي مائة ريال أخرى، ثم قام خارجًا، وهو يوصيني بضرورة أن أحضر العرس غدًا لأبارك العروسة.

ومضي العم علي، وأنا غير مصدق. وما إن مضى حتى أسرع الجميع يسألونني:

– ماذا يريد منك؟

– فقط طلب مني أن أخبره متى تخرج ابنته العروسة.

– وماذا قلت له؟

– قلت له تخرج بعد العشاء.

– هل أعطاك النقود.

– نعم.

قال أخي الكبير:

– سأذهب أنا وأنت غدًا للعرس حتى أحظى بغداء وقات مخصوص فقد جئت مع الولي.

وفي تلك الليلة لم أستطع النوم فقد بقيت أفكر في المشروع الذي سأقوم بتنفيذه. أتقلب في الفراش وأدخل في مشروع وأخرج إلى آخر فأنا غير مصدق أنني أمتلك 300 ريال دفعة واحدة. وذهبت إلى المدرسة وأنا في عالم آخر.
سألني الأستاذ السوداني ضوء الفانوس فجأةً:

– كم عدد الكتب السماوية يا محمد؟

– العروسة تخرج بعد العشاء.

– عروسة شنو يا زول؟

– قصدي 300 ريال.

– عليك الله يا زول أنت اليوم ما معنا.

وضجَّ الفصل كله بالضحك. ثم تماسكت وتذكرت وأجبت.

وفي العرس وبعد أن تناولنا الغداء، جاء العم علي وجرَّني من يدي إلى الداخل؛ حيث العروسة التي فوجئت بحضوري. فقال العم علي:

– الولد محمد ولي مبارك وأعطاه الله السر .. وسيباركك ويدعو لك.

ثم قدم لي طشت ماء. فقرأت عليه آية الكرسي والمعوذات ونفثت فيه. ثم رشَّ به العروسة. وبدوري دعوت لها بالبركة والتوفيق وغادرت. فدسَّ في جيبي مائة ريال أخرى.

وحينها لم أر الدنيا أمامي من الفرح .. 400 ريال هذا كثير علي. ومن شدة فرحي قررت مغادرة العرس والعودة إلى البيت. فأعطاني كيسًا مليئًا بالسكاكر وكيسًا آخر فيه قات لأمي .. وعدت إلى البيت وأنا غير مصدق ما يحدث لي.

علمت بعد ذلك أن ما عملته كان شعوذةً، خاصةً قصة متى تخرج العروسة فتآكلني الندم وقررت أن أعيد المبلغ للعم علي. لقيته وأخبرته أنني كذبت عليه

ذلك اليوم **فضحك قائلاً:**

– أنا كنت أعلم أنك كذبت علي؟

– ولماذا جئت إلي وطلبت مني أن أخبرك متى تخرج العروسة؟

– لكي أعطيك تلك النقود.

بعد ذلك، انتشر الوعي في قريتنا. ولم يعد الناس يسألون أحدًا متى تخرج العروسة من بيت أبيها؟ ومتى تدخل بيت زوجها؟

مأساة أميرة

أعترف بأنني خفت كثيرًا، عندما جاء إليّ حامد عامر الساعة العاشرة مساء. كان منظره يوحي بحدوث كارثة؛ وجهه أصفر وعيناه زائغتان، وهو في غاية التوتر والارتباك، حتى أنه كان يتكلم بصعوبة ويتلعثم. **سألته:**

– سلامات ماذا حدث؟!

– أميرة..

– مالها؟ هل لدغها ثعبان؟

– يبدو أنها استضرت؟

– كيف؟

– مريضة وتهذي بكلمات غريبة لا أفهمها.

حمدت الله فقد كنت أتوقع أن كارثة قد حدثت. طمأنته:

– لا تقلق يا أخي زوجتك عندها حمى، وتهذي بسبب المرض.

وأضفت:

– بالصباح تذهب بها إلى المستوصف وسيقرر لها الطبيب العلاج. وتتعافَ إن شاء الله. لا تخف.

وفُوجئت به يطلب مني أن أذهب معه لكي أقرأ عليها الرقية الشرعية لأنها " استضرت" وأصابها مس شيطاني. حاولت معه بشتى السبل والوسائل إلا أنه أصر علي بأن أذهب معه لأقرأ عليها القرآن.

– يا حامد زوجتك محمومة وتهذي. هذا طبيعي.

– أقول لك تتحدث بأشياء غريبة عجيبة لا أفهمها.

– عادي عندما تنتهي الحمى ستتوقف عن الهذيان. لا تخف.

ولكي أطمئنه ذهبت معه. وحين رأيتها ترتجف تحت كومة من البطانيات أدركت أنها تعاني من حمى قوية جدًا. ولذا فقد نصحته بأن يذهب بها إلى المستوصف فورًا. عدت إلى منزلي. **وقبيل ظهر اليوم التالي جاء حامد إليّ قائلًا:**

– أريد شراء كبش أو تيس..

قاطعته:

– يبدو أنك ذهبت بزوجتك إلى المستوصف فقالوا: لابد أن تتغذى جيدًا.

وفوجئت به يقول:

– لا الكبش سنذبحه للفقيه ياسين ملهي.

واجتاحني الغضب؛ فبدلًا من أن يذهب بزوجته إلى المستوصف، جاء بذلك المشعوذ الدجال ليعالج زوجته! دفعته بعيدًا:

– أنت ركبت رأسك وجئت بهذا المشعوذ؟!

وقررت الذهاب إلى منزله وطرد المشعوذ. لكنه أمسكني **قائلًا:**

– أنت ما دخل أبوك؟ هو في بيتي ولّا بيتك؟

– ما دخل أبي؟! .. أنت مدبر وسفيه، والذي ينصحك يستاهل الذي يجرى له.

تركته ومضيت. وعلمت بأنه قد أرسل شقيقه إدريس إلى جبل النجد ليأتي بالقات الفاخر للمشعوذ. كانت زوجة حامد قد ازدادت حالتها سوءًا. **وحين جاء المشعوذ ورآها قال:**

– زوجتك عشقها غيلان الضابح. مارد من الجن. زوجتك حلوة فتنت المارد فعشقها، ولن يتركها إلا بجهد جهيد.

وهجم عليها يضربها بقسوة قائلًا:

– اخرج يا غيلان عليك غضب الله. اخرج يا غيلان بحق مشايخ الجان سهسهوب وطهطهوب وصعصع اخرج يا غيلان.

كانت تصرخ وهي تتعرض للضرب. وكان صراخها يقطع القلب. ذهبت إلى بيت أهلها أسأل عن والدها **فقالوا:**

– هو عندها منذ الصباح.

قلت:

– ويسمح للمشعوذ يضربها وهو يتفرج؟!

قالت أمها من خلف الباب:

– لأجل يخرج الجني العاشق.

– يا حاجَّة بنتك فيها حمى شديدة ما فيها لا جني عاشق ولا مفارق.

وأضفت:

– ياسين ملهي مشعوذ دجال لا تصدقوه. أنقذي ابنتك قبل أن تموت على يديه.

– يا ابني أنا ولا بيدي شيء الأمر لله.

أخذت بعض الجيران وإمام الجامع، وذهبنا لطرد المشعوذ. لكن حامد عامر منعنا من دخول منزله. عدنا ونحن نضرب كفًا بكف ونسأل الله أن يلطف بها.

في صباح اليوم التالي، سمعنا الصراخ فهرعنا باتجاه بيت حامد عامر، وحين وصلنا كان حامد يصرخ:

– أميرة ماتت يا محمد. أميرة ماتت.

كان المشعوذ قد هجم عليها وخنقها حتى فاضت روحها، وهو يزعم أنه سيخرج منها غيلان العاشق. وظل زوجها يبكي ويمزق ثيابه ويخبط على صدره:

– أنا حمار ليتنا صدقتك يا أستاذ محمد.

غادرت المكان اجتاحني الحزن. أجهشت بالبكاء ومضيت لا أدري إلى أين أذهب؛ بينما كان صراخ حامد ما يزال يسمع في كل أرجاء القرية.

الكاتب ومؤلفاته

محمد مصطفى العمراني. كاتب قصص يمني ولد في بني عمران، العدين، محافظة إب، في 1980م. عمل في الصحافة، ثم اتجه لكتابة القصص. ترجمت الكثير من قصصه لأكثر من ست لغات عالمية.

صدر للمؤلف:

1 ـ عن محاولتي الفاشلة للوصول إلى القمر – قصص.

2 ـ من عجائب تنكة بلاد الخرافات – قصص.

3 ـ نحن والحمير في المنعطف الخطير – الطبعة الأولى + الطبعة الثانية.

4 ـ لصوص لكن مبدعون – قصص.

5 ـ توبة غريبة – قصص.

6 ـ مجنون الفقيه – قصص.

7 ـ المصير المنتظر – قصص.

8 ـ حنين الأعجوبة – قصص.

9 ـ كنز غريب وكبش أسود ـ قصص.

10 ـ مفاجآت ليلة ممطرة ـ قصص

11 ـ زمن للبراة ـ قصص

12 ـ القاضي العمراني رمز التجديد والوسطية في العصر الحديث – تراجم.

13 ـ قطوف في اللغة والأدب والفن – مقالات.

14 ـ نمساوية في بلاد النامس ـ أربعون قصة مضحكة.

15 ـ من عجائب الأستاذ جابر وغرائب الدكتور ربيع ـ أربعون قصة ممتعة.

16 ـ التحول العجيب للشرير المريب ـ قصص

17 ـ البطل الذي اختفى ـ قصص

18 ـ أحلام الطبيبة ميمونة ـ قصص

19 ـ شلال من البراءة ـ قصص

20 ـ ثروتي التي خسرتها ـ قصص. الطبعة الأولى + الطبعة الثانية.

بَيْتٌ كَادَتْ تَهْدِمُهُ الخُرَافَةُ

ثلاثون قصة عن خطورة الشرك والخرافات والدجل والشعوذة

محمد مصطفى العمراني

للخرافة سلطانٌ إذا استوطنت العقول؛ **تُلبس الوهمَ ثوبَ الحقيقة**، وتستمدُّ بقاءها من الخوف والجهل وتوارث الحكايات.

وقد اخترنا للنشر هذه الطائفة من القصص التي تناهض الخرافة والدجل والشعوذة، في أسلوبٍ أدبيٍّ ماتع، ولغةٍ سلسةٍ رشيقة، ومواقفَ طريفةٍ يمازجها المرح وتنهض بها المفارقة؛ غير أن الضحك فيها بابٌ إلى معنى أبعد، والمتعة سبيلٌ إلى غايةٍ أعمق.

فهي حكايات تكشف ما تصنعه الخرافة بالإنسان حين تستولي على وعيه، وما يقتات عليه المشعوذون والدجالون من مخاوف الناس وأوهامهم؛ يبتسم القارئ لبعض غرائبها، ثم لا يلبث أن يرى وراء الابتسام وجهًا جادًّا ودلالاتٍ نافذة.

فكم من خرافةٍ بدأت حكايةً، ثم غدت اعتقادًا، **وكم من وهمٍ صغيرٍ كاد يهدم بيتًا.**

HEKMAH YEMANYA

9 786259 497082